الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

و زارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة منتوري قسنطينة

كلية الآداب و اللغات قسم اللغة العربية و آدابها

القيم الإنسانية في رواية ريح الجنوب

مذكرة معدة إستكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

من إعداد الطالبتان:

- فتيحة قجان.
- نصيرة قريبع.

تحت إشراف الأستاذ الدكتور:

"يحي الشيخ صالح"

السنة الدراسية: 2010 – 2011

بسم الله الرحمن الرحيم

الدعاء

"اللهم اجعل بدايتنا كفاح و نهايتنا نجاح"

آمين.

الإهداء

الى من علمتني الحب و الحنان
الى القلب الناصع بالبباض (والدتي الحبيبة)
الى من كلت انامله ليقدم لنا لحظة سعادة
الى من حصد الاشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم
الى القلب الكبير والدي العزيز
الى القلوب الطاهرة الرقيقة و النفوس البريئة
الى رياحين اخوتي جميعهم
الى اخي العزيز طارق
الى الكتكوت ديدو
الى اختي سهام و زوجها فضيل
الى خطيبي هشام
الى من يجمع بين سعادتي و حزني(نصيرة، كلتوم، سعاد)
إلى من أتمنى ان اذكرهم و تبقى صورهم في عيوني.
إلى كل من اعرفهم

فتيحة.

الإهداء

الى حكمتي   و علمي
الى ادبي   وحلمي
الى طريقي   و دربي
الى طريق   الهداية
الى ينبوع الصبر، التفاؤل و الامل
الى كل من في الوجود بعد الله و الرسول
الى سندي و قوتي و ملادي امي الغالية و ابي الحنون
إلى إخوتي الأعزاء
الى من أثروني على أنفسهم
الى من علموني علم الحياة
الى من اظهروا لي ما هو أجمل من الحياة أخي سفيان و رياض
الى إخوتي و أزواجهم.
و الآن تفتح الأشرعة و ترفع المرساة لتنطلق السفينة في عرض
بحر الحياة و في هذه الظلمة لا يضيئه الا قناديل الذكريات
ذكريات الأخوة البعيدة الذين أحببتهم و أحبوني
« فتيحة، كلثوم، سعاد »
الى النفوس البريئة: هاشم، خير الدين، مروة، اميمة،انفال.

نصيرة.

مقدمة

مقدمة:

يزخر القاموس الإبداعي العربي الجزائري بثروة أدبية حياة تمس جميع مجالات الحياة البشرية، التي أسهم في إبداعها ذوي العقول النيرة، التي تذكرتهم الأجيال و لا بل رسختهم أعمالهم الأدبية الجليلة، التي يشهد لها التاريخ، حيث إستضاء به في الحياة كل جيل سابق عنا او لاحق بعدنا.

فالأدب الجزائري بكل أجناسه و ما ينطوي تحتها من موضوعات، تمس صميم المجتمعات استطاع أن يحقق ما عجز السلاح عن تحقيقه.

و به إرتقت الأمم عامة و الأمة الجزائرية خاصة، إلى أعلى درجات التقدم و بفضله استطاعت أن تتخلص من العراك الداخلي و حتى الخارجي منه، باعتباره الواعظ الراشد للأجيال.

لا نبتعد عن ذلك كثيرا فالمثل الحي بين أيدينا في الجزائر تحديدا، فالاستقلال سنة 1962م لم يكن ثمرة سلاح بقدر ما كان ثمرة أدب، أبدعه عظماء جزائريون في الفترة تلك، التي ترسخت أعمالهم كالنقش على الحجارة، تناقلتها أجيال بعد أجيال، حيث كتبت عنهم الأقلام و الفت عنهم الكتب، مثل العلامة الكبير عبد الحميد بن باديس، الذي كانت كلماته تستوعبها العقول، الراقية المتبعة في تدبيج المضامين شعرا كان أو نثرا.

فالرواية العربية عموما و الجزائرية خصوصا بالرغم من أنها تأخرت في الظهور لأسباب سياسية، اجتماعية، ... الخ مقارنة مع الأجناس الأدبية الأخرى كالمقال و القصة، ... الخ، إلا أنها بأساليبها الراقية و مضامينها الحية استطاعت ان تعبر عن هوية المجتمعات و الأمم، لقدرتها على تشكيل التصورات العامة عن الشعوب، فهي كما يقول بعض النقاد " أصبحت ديوان العرب "، و أصبحت المرجعية المعتمدة في جميع المجالات.

و هي محور العلاقات بين الذات و العالم و بين الحلم و الواقع، و لأنها هي فن التخيل الذي يثري الحياة بمعانيها و توجيهاتها، و هي الخطاب الذي يحمل من التأويلات ما يجعل عقل الإنسان في ثورة مستمرة على مظاهر التخلف و التسلط و الهيمنة، و هي الخطاب الاجتماعي و السياسي و الإيديولوجي المتوجه دائما ناحية حشد من الأسئلة التي تأخذ من الإنسان و الطبيعة و التاريخ محاور موضوعاتها.

فقد استطاعت أن تسيطر على الساحة الثقافية، و فرضت و جودها بفضل إسهام جهود روائيين جزائريين من أمثلة الروائي الكبير عبد الحميد بن هدوقة، الذي استطاع أن يتوارى وراء نصه ليسمعنا صوته و نظرته للحياة عامة، دون أن نراه حيث ترك لنا بصمات خالدة عبر التاريخ، علاقتها عريقة بين المجتمع و الأمة، لان الروائي الناجح في أعماله هو الناطق بلسان مجتمعه معبرا عنه و معالجا للقضايا الاجتماعية في مختلف المجالات جاعلا عمله رسالة في صميم المجتمع، فالروائي صوت أمته و مجتمعه و بذلك يكون أدبه راقيا و مقبول لذا العامة و الخاصة، و الرواية هي الجنس الأدبي الأكثر انتشارا في الساحة الأدبية عامة و العربية الجزائرية خاصة، فكل روائي تجده يركز في الرواية على موضوع معين يمس المجتمع و يفيده و يوجه سلوكه، حيث يسخر كل طاقاته الفكرية و المعرفية، إضافة إلى خبراته الفنية و الجمالية، و لذلك يتتبع الخطوات الأساسية المتبعة في تشكيل النص الروائي.

فعبد الحميد بن هدوقة روائي جزائري قد ألف لنا هذه الرواية التي نحن بصدد دراستها " ريح الجنوب " التي ظهرت سنة 1970م قد سخر كل طاقاته المعرفية و الفكرية مركزا فيها على الحديث عن الثورة الزراعية و الإقطاعية ... الخ، فهي موضوعات مستمدة من الحياة اليومية للمجتمع الجزائري بصفة عامة و المجتمع البرايجي بصفة خاصة، إلا أننا لم ندرسها نحن من هذا المنظور بل من منظور آخر، و هو البحث عن القيم الإنسانية داخلها، لأنها تعد من الموضوعات الأكثر حساسية في نظرنا، و هو موضوع بالغ الأهمية له صلة عميقة بمختلف مجالات الحياة البشرية.

فالقيم الإنسانية أساس بناء المجتمعات، و ضمان إستمراريتها، وهي عمود الأمة و قوامها، فالملاحظ عن الدول عامة أن التقدم الحضاري الذي وصلت إليه في مختلف مجالات الحياة كان أساسه الأخلاقيات أكثر من الماديات مثال الدولة الإسلامية التي بلغت قمة الحضارة في عهد الرسول صلى الله عليه و سلم، حيث طغت الأخلاقيات على الماديات، و بالانحلال الأخلاقي تراجع التطور نحو الانحطاط الحضاري.

و القيم الإنسانية تجمع في لفضة واحدة و هي الخيرية آو الفضائل و كل ما يشمل على فعل الخيرات اتجاه الآخرين أو اتجاه النفس و الخالق عز و جل.

فبالرغم من أن هذا الموضوع يميل إلى الناحية الدينية أكثر من الناحية الأدبية إلا أننا اخترناه رغبة و قناعة محاولين دراسته بالطريقة الأدبية و ذلك بعد استشارة الأستاذ المشرف، و كذلك بعد مشاورة بعض الأساتذة من الكلية. فأي موضوع أدبي لا يخلو من الجانب الديني و خاصة الرواية، لأنها مرآة عاكسة للمجتع، لان أساس الحياة الدين و تطبيقه في كامل جوانبها فأين الفرق بين الأدب و الدين، فهما يكملان بعضهما البعض و مهمين في المجتمع، فهذا الموضوع موظف في كثير من الروايات الجزائرية. و لكن بطريقة غير مباشرة، بل نستشفه من التأويلات، حيث أن كل روائي يقدمه حسب نظرته للحياة و حسب الجو الذي عاش فيه.

موضوع القيم الإنسانية أعجبنا و لهذا اخترناه كموضوع لبحثنا بعد أن تأكدنا من أن هذا الموضوع غير مدروس سابقا، و ليس كذلك عنوانا لأي كتاب. فهذا البحث يتعلق بالقيم الموجودة في الرواية،بالرغم من أن موضوعها غير هذا إلا أننا وجدناها حافلة بمجموعة كبيرة من القيم حتى و أن لم تكن شاملة لكل لجميع القيم. إلا أننا حاولنا الإلمام بجوانب الإشكالية التالية التي تشتمل على كل مطروح في هذا البحث: ما مدى احتواء هذه الرواية على القيم الإنسانية ؟. معتمدين المنهج التحليلي، لأنه النسب حسب رأينا لهذا الموضوع الذي لا يخلو من المخاطر و الصعاب التي تلقيناها في طريقنا أثناء هذه الدراسة، نظرا لعدم دراسته من طرف النقاد و كذلك قلة الإمكانيات المادية و المعنوية إن صح التعبير و ندرة المصادر و المراجع التي أردنا الاعتماد عليها في هذا البحث.

فقد أنجزنا هذا البحث بعد مشقة و عناء بالرغم من انه بحث متواضع و ذلك للأسباب السابقة الذكر، إلا أننا استطعنا بعون الله لنا أن نلم بجوانبه حيث قدمناه في فصلين تطبيقيين و تمهيد و خاتمة، تحدثنا في التمهيد عن الوضع الثقافي في الجزائر خاصة عن الرواية في فترة السبعينات

أما الفصل الأول الذي يحتوي على خمسة مباحث، و التي أدرجناها تحث عنوان العوامل و الظروف، تطرقنا فيه إلى العوامل السياسية التي نشأت بين أحضانها هذه الرواية و كذلك الاجتماعية، ثم عرجنا إلى إعطاء لمحة عن البنيات السردية الثلاثة (الزمان، المكان،الشخصيات).

أما الفصل الثاني قمنا فيه باستخراج القيم الإنسانية الموجودة في الرواية كالمحبة الوفاء، و التواضع، ... الخ مع الاستدلال ببعض الآيات القرآنية و الأحاديث الدينية، و أبيات شعرية على كل قيمة، و لا ننسى أن نذكر بعض المراجع و المصادر التي أعاننا على الحصول عليها الأستاذ الكريم رشيد قريبع كما اهتدينا نحن إلى بعضها بفضله تعالى منها:

- كتاب تطور النثر الجزائري الحديث لعبد الله الركيبي.
- الأدب الجزائري الحديث لعمر بن قينة.
- ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة.
- الشخصية في الرواية الجزائرية (1975–1983) لبويجرة رشيد.

و غيرها من المراجع و المصادر و المعاجم التي استعنا به في بحثنا هذا، دون أن ننسى الجهود التي بذلها الأستاذ المشرف، فهو يوجهنا دائما إلى الصواب و يحفزنا و يضجعنا على المثابرة و مضاعفة الجهد، و في الأخير نشكر المولى عز وجل لأنه الأول و الأخير الذي وفقنا إلى هذا.

تمهيد

تمهيد:

عندما نتساءل مرة أخرى لماذا غابت الرواية الجزائرية، المكتوبة باللغة العربية من 1967 الى بداية السبعينات، لتعود من جديد مع محمد عرعار و عبد الحميد بن هدوقة و الطاهر وطار، يفترض فينا طرح الأسباب الرئيسية التي كانت وراء ذلك، أو على الأقل إيجاد تفسير معقول يبرر هذه الحقيقة المجسدة أمام أعيننا. فقد خرجت الجزائر من حرب □ الدمار □ المفروضة عليها من طرف البورجوازية الفرنسية الإحتكارية، بتركة إستعمارية كان عليها العمل الجاد للخروج منها، فلم يكن ما يسمى اليوم بالإقتصاد الجزائري، بل كان هناك « إقتصاد فرنسي بالجزائر و مسير من العاصمة تحت الضغط الدائم لباريس » (1).

فكان لا بد من إعادة بناء □ أصلية □ مبنية على أسس علمية جديدة بعد الاستقلال و من الواضح جدا أن التناقضات كانت وقتها قد استفحلت، الأمر الذي جعل الدولة تحس بأنها متجاوزة، وأن تناقضات مثل هذه التي خلقتها التركة الاستعمارية، ليس من السهل حلها، فعلى المستوى الخارجي رفعت الحكومة الوطنية شعارات تعادي الاستعمار و الإمبرالية، و الرجعية المحلية، التي حاولت جاهدة إستغلال الفرص المتاحة لضرب كل إنجاز ثوري حققته الجماهير الشعبية بفضل نضالاتها اليومية، أما على المستوى الداخلي، فبالرغم من العمل الجاد و (النية الصادقة)،فقد تفشت الفوضى إلى حد بعيد، و ربما نجد تفسيرا لذلك في الإرث الاستعماري الثقيل، إذ ليس من السهل التخلص نهائيا من قرون من إضطهاد فـ« الوزن السوسيولوجي مثقل بوزن القرون و الأصوات » (2).

و طبعا، فمواجهة واقع شرس، و البداية من الصفر ليس الأمر بالبساطة التي يمكن أن نتصورها. و كان لا بد من عملية فرز على أسس وطنية، بزمن الثورة الديمقراطية كما ألح على ذلك برنامج او ميثاق طرابلس « لتحقيق أهداف الثورة الديمقراطية الشعبية يقتضي إيجاد و تكوين

---

(1) Voir Nyssen, H ubert: l agerie en 1970 tell que j ai vue colleetion a la une·vithand· paris1970· p57

(2)· Voir hadj ali bachir: le mal de vivre et la volonté d éctre,dans la poesie algerien d éxpression francaise imprimartr 1973· p10

طليعة واعية »[1] ، و هذه الطبيعة التي لا يمكن للجزائر أن تتقدم أكثر و لا أن توسع خريطة إنجازاتها الثورية.

فكان لابد من إيجاد حلول ناجعة للمشاكل المطروحة بعمق، السكن و الأكل و الغطاء و التعليم لأكثر من مليون عائلة من عائلات (بحر) الشهداء بكل أفرادها. الأمر الذي حتم سياسة خاصة، برزت فيها كل التناقضات الأساسية و الثانوية.

فمنذ1962 « دخلت الجزائر في جو من التغيرات القاعدية، القاعدة التي لا يمكن التنكر لأهميتها »[2] ، و كان الأساس في ذلك كما قال المرحوم هواري بومدين « هو إستغلال كل الاستثمارات في صالح الجماهير الشعبية » [3].

« و بدأ العمل على إعادة بناء المدارس، وإجبار أبناء الشعب على التعلم و توفير كل الظروف الملائمة لهذه الإجبارية، ففي سنة 1963 كان المتعلمون في التعليم الابتدائي قد إرتفع إلى 887 ألف تلميذ من بينهم 273 ألف تلميذة، و في سنة 1968 كان نفس العدد قد وصل إلى 1490 ألف تلميذ من بينهم 552 ألف تلميذة، معنى هذا بكل بساطة أن العدد تضاعف في ظرف خمس سنوات » [4].

و الشيء نفسه تقريبا يمكن ان يقال عن التعليم الثانوي و الجامعي، و هذا الاخير كان يضم بين صفوفه في سنة 1963 (3000) طالب من بينهم (600) طالبة، و في سنة 1969 م تجاوز العدد ليصل إلى 10 ألاف من بينهم أكثر من 2000 طالبة هذا العدد تطور أكثر بطبيعة الحال، مع بداية السبعينات، عقد التحولات الديموقراطية و تجسيد الاشتراكية.

هذا مع العلم أن هذا التطور العمودي لسياسة التعليم في الجزائر طرح عدة مشاكل سياسية خصوصا مع بداية تطبيق هذه السياسة،فإجبارية التعليم مثلا « صادف عدة معيقات في أوساط .

---

[1] Voir mamerie khalfa: orientation politiqye de l aggerie· p88

[2] Voir Nyssen, H ubert: l agerie en 1970 tell que j ai vue colletion a la une· vithand·p171

[3] المرجع السابق، ص81

[4] المرجع السابق، ص 81·82

عديدة »(1) ، خصوصا الأوساط الفلاحية إذ انه من غير المنطقي أن يقبل طفل على التعليم، في وقت يشكل فيه هذا الطفل السند الأول للعائلة في ميدان العمل، فهو بمثابة اليد العاملة المجانية.

فحل المشاكل اليومية التي يعيشها الفلاح كان بإمكانه أن يسهم في تطوير هذه العقلية الشعبية، لتغيير رؤيتنا و موقفها من التعليم، لأنه على مستوى اجتماعي، و ضمن إطارالواقع اليومي، كانت مشكلة الجوع و التشرد و الجهل، و بالرغم من كل المجهودات ما تزال قائمة، فحتى الأراضي التي سيرت ذاتيا من طرف الفلاحين بمجرد ترك الاستعمار لها،لم يكن مردودها جيدا حتى بعد اللجوء إلى مكننة هذه الفلاحة « مع العلم ان العقلية التفردية و الإقطاعية التي طلبت و مازالت تحاول ضرب كل مكسب ثوري بحجج واهية لم يعد يقبلها حتى الفلاح العادي، مع العلم أن التسيير الذاتي في الاقتصاد يعتبر شكلا إنتقاليا يجمع بين خصائص المنشآت الحكومية من جهة و التعاونية من جهة أخرى » (2).

و هذا هو الجو الذي ضمن بقاءه و حياته أطول مدة ممكنة لتتجسد نضالات الفلاحين فيما بعد في مكسب ثوري أكثر عمقا، و أكثر تطورا « الثورة الزراعية التي ليست مجرد انقلاب و تبديل المستعمر بالفلاح و لكن ساهمت في أن قدمت للفلاح التفتح الحر » (3).

ضمن هذه الظروف الاقتصادية بكل تناقضاتها، كان طبيعي ان ينشأ وضع ثقافي مهزوز إلى حد بعيد، و يفتقد الكثير من مقوماته الأساسية، لان الركائز التحتية التي أفرزت هذه البنى الفوقية، لم تكن قد وصلت بعد إلى مرحلة التطور الكامل.

« فالفن القصصي الذي ورث رصيدا ثوريا جادا و مشرقا، كان عليه ان يحقق قفزة كمية و نوعية، الشيء الذي لم يتم في ظل الظروف المشار إليها آنفا، و حتى المجموعات القصصية و الكتابات الأخرى التي وجدت، في هذه الحقبة التاريخية، لم تضف شيئا جديدا، بقدر ما حاولت إجترار الماضي، برؤى جد مختلفة، و هناك استثناءات بكل تأكيد و لكنها، لا تعمل إلا على تأكيد

---

(1) Voir Nyssen, Hubert: l agerie en 1970 p83

(2) كوليسوف: القطاع العام في الاقتصاد الجزائري. دار مشق. ص3

(3) Voir Khalfa: orientations politique de l algrrie, p109

القاعدة، و حتى الذين تصدوا لمشاكل ما بعد الاستقلال بشتى ظروفها، و من بينهم محمد المنيع صاحب رواية "صوت الغرام" 1964 لم يضيفوا الكثير إلى الرصيد القصصي في الجزائر، و الشيء نفسه يمكن ان نورده هنا عن الشعر، فقد ظل يحافظ على خطه الحماسي الذي إستلهمه من ظروف الثورة الوطنية العظمى. محدود الرؤية، مرتبط في معظمه بالوازع الديني، بل بالجانب الميثافيزيقي منه، و لعل للأمر تفسيرا ما، خصوصا إذا رجعنا إلى تاريخ معظم الشعراء الذين كانوا يكتبون وقتها، فهم في معظمهم إفرازات للحركة الوطنية، بكل تناقضاتها، و على وجه الدقة، تلاميذ متخرجون من مدارس الجمعية الإصلاحية 1934 و نواديها، و مرة أخرى أقول: أن هذا الحكم، لا يمكن أن يكون بأي حال من الأحوال حكما "ميكانيكيا" أليا، علينا أن نأخذه بكل أبعاده، فهناك تجارب متفردة، و إستثناءات، كما في القصة و لكن هذه الاستثناءات كما ذكرت قبل قليل، لا تعمل إلا على تأكيد هذه القاعدة. هذا مع العلم ان هناك مثلا في القصة القصيرة، تجاربا رائدة، و التي بدأ أصحابها يسيرون نحو كتابة الرواية كتطور جدي طبيعي يجسد رحلتهم الأدبية و الفكرية و الفنية. »(1).

« و أهم هؤلاء ابن هدوقة عبد الحميد، و الطاهر وطار، هذا الأخير الذي ختم مجموعته القصصية الطنعات بقصة إستوفت معظم الركائز الأساسية للعمل الروائي " رمانة ". و لكنها لم تصل لأن تكون رواية كاملة البناء الشكلي و الفني، لأن الظرف التاريخي بكل مفارقاته الاقتصادية و السياسية والاجتماعية و الثقافية زيادة على ثقافة الأديب نفسه و ظروفه الخاصة و الموضوعية لم تكن تساعد، و لا لتسهم في ظهور الرواية، و لكنها خلقت التربة الأولى، التي إستبنى عليها أعمال أدبية جادة فيما بعد، خصوصا مع التحولات الديموقراطية في بداية السبعينات، يضاف إلى ذلك سيطرة الرؤية الميثافيزيقية لدى كثير من الكتاب. هذه الرؤية التي لم تكن إلا إنعكاسا للواقع اليومي، حيث يسيطر وجه سلبي للدين، بدأ يتحول فيما بعد إلى تيارات و إتجاهات جامدة، تكرس التخلف فمعظم الذين كانوا يتعاطون الفن القصصي، و حتى الروائيون كانوا أما ذوي ثقافة أزهرية أو قروية أو زيتونية الأمر الذي لم تحدث تلك القفزة النوعية و الكمية الموتقبة، لا في الشعر الذي

---

(1) واسيني الاعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، رسالة لنيل شهادة الماجستير، تحت اشراف عبد الكريم الاشتر،كلية الاداب. دمشق - 1981-1982- ص 75

ظل خطه البياني التطوري مستقرا في الحماسة و الفخر و الحب، بمنظورات لم تخرج عن المألوف و السائد في المجتمع منذ زمن بعيد، يعني بروى إستهلكها الواقع بإجتراره لها كثيرا، و لا في الفن القصصي، فالمكابح التي كانت جمعية العلماء المسلمين قد وضعتها في الطريق قبل الاستقلال لم تسهم في تطور هذا الفن القصصي، فوضع مثل هذا، جعل النقد يسير على الوتيرة التي مشت عليها الأعمال الإبداعية و لم يساعد على إكتشاف فعالية كثير من المواهب الواعدة و إيقافها على أقدام ثابتة و أرضية صلبة، فثقافة الناقد لم تكن، لتفتح الأفاق المشرقة إلا أمام المنتقد و لا أمام الناقد نفسه، الذي ظل انطباعي المزاج ضيق الأفق.»(1).

« هذا في وقت كانت فيه الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية قد قطعت أشواطا كبيرة و حققت إنجازات فنية ضخمة على المستوى المحلي وحده و لكن على المستوى العالمي كذلك، ساعدتها في ذلك ظروف خاصة إفتقدتها الرواية الجزائرية، ذات التعبير العربي، من بينها ثقافة الروائيين أنفسهم الذين كانوا متفتحين على آخر الانجازات الروائية العالمية إضافة إلى الرصيد الروائي الجيد الذي خلفه كتاب □ متجزئون □ (2) و فرنسيون تجنسوا قبل بداية الثورة الوطنية العظمى بقليل و كتاب جزائريون كذلك »(3).

و في هذا نقول انه ضمن « هذه الظروف كان المطلوب تحقيق قفزة نوعية على المستوى الثقافي، و هذه القفزة لا يمكن تحقيقها هكذا من الهواء الطلق و لكنها كانت قد إرتبطت إرتباطا عضويا بالنضالات اليومية التي تقودها الجماهير الكادحة على كل المستويات لتجسد أحلامها التي ناضلت و أستماتت عليها بالأمس، إبان الثورة العظمى، و التجسيد الفعلي لهذه النضالات على مستوى الواقع اليومي، بكل جوانبه الإيحائية و السلبية هو وحده القادر على تحقيق هذه القفزة لا على مستوى البنى التحتية، حيث تبرز إلى السطح كل التناقضات الأساسية و الثانوية و يقع الفرز الطبقي الحقيقي، و يظهر الحليف التاريخي، و العدو،و لكن على مستوى البنى الفوقية كذلك. اذ ان

---

(1) واسيني الاعرج: المرجع السابق، ص76

(2) هم كانوا فرنسيون اقاموا بالجزائر، كانت رواياتهم دات اتجاه كولونيالي، الا انها اسهمت في بلورة الفن الروائي في الجزائر، و قد استفاد الكتاب الجزائريون من ذلك كثيرا و صاغوها في قوالب جديدة

(3) واسيني الاعرج: المرجع السابق، ص76- 77

أسلوب الإنتاج – الواقع الاجتماعي – هو الذي يحدد وعي الناس و الأفكار و النظرات و العلاقات الخاصة لكل مجتمع على حدة فالأفكار بهذا المعنى في إنعكاس للواقع من الناحية الاقتصادية، و في كل تشكيلة إجتماعية طبقية تسود إيديولوجية الطبقة المسيطرة » (1).

« و هذا ما يحدد واقع الصراع بين مختلف القوى و طبيعته، فالبرجوازية و بقايا الإقطاع حين تضرب مصالحها في الصميم، يرجعان إلى أصولهما البدائية القمعية. و من هنا كان لا بد من إيجاد صيغة معينة، مقبولة إلى حد بعيد لا لحسم التناقضات الاجتماعية الأساسية، فهي لا تحسم بمجرد رغبات الأفراد، أو بجرة قلم، مثل ما هو الأمر عند " المثاليين " و لكن على الأقل التخفيف من حدتها، و إيجاد جبهة عريضة تضم كل الفئات الثورية و الوطنية التي من مصلحتها معاداة الإستعمار و الإمبريالية، و المحافظة على المنجزات الديموقراطية التي كان الاستقلال الوطني أحد أعمدتها الأساسية، و التعليم الإجباري و المجاني، و التسيير الذاتي، كصيغة من صيغ العمل الجماعي المثمرة، و لو على أمد طويل، و الهدف من هذه الجبهة العريضة بطبيعة الحال، تعميق المكتسبات الثورية، و السير بها قدما إلى الأمام، و النضال يوميا و على كل المستويات، وفي كل الظروف المتاحة من أجل تحقيق مكتسبات أخرى، أكثر تقدما و أكثر ثورية، هذه المكتسبات التي بإمكانها أن تسهم في بلورة الواقع الثقافي بالجزائر إذ لا يمكن تصور واقع ثقافي جيد بكل معنى الجودة، بدون واقع إجتماعي معقول. تستلهم منه البنى الفوقية " نسخ " حياتها » (2).

إذن في ظل هذه الظروف القاسية. التي أرغمت الواقع الاجتماعي ان يمشي بخطى رتيبة لم تساعد لا على التغيير الجذري للذهنية البدائية و الرؤية الميثافيزيقية و لا بلورة الوضع الثقافي، بحيث يمكن ان يحقق المطلوب منه تحقيقه، فقد كان الأمر جد طبيعي أن تغيب الرواية من الاستقلال حتى سنة 1967 حيث ظهرت رواية " صوت الغرام " لمحمد المنيع و لم تضف الشيئ الكثير سواء على مستوى فكري أو فني، و لكنها مع ذلك مزقت ذلك الصمت المضروب حول الرواية العربية في الجزائر، لكنها للظروف نفسها و التي أتينا على ذكرها بإيجاز، غابت الرواية

---

(1) ينظر بالزون و كيليلي: المادية التاريخية، دار الجماهير، دمشق، ص50

(2) واسيني الاعرج: المرجع السابق، ص78

عن الساحة الأدبية من جديد حتى سنة 1970 ، حيث ظهرت بكثافة مصاحبة للتغيرات الاجتماعية و التحولات الديموقراطية بكل إنجازاتها الثورية. بل كانت الوجه الآخر، الفني طبعا، لهذه التحولات الثورية، و هذا ما يجعلنا نقول ان الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية، بعد الاستقلال، كانت بمثابة الوليد الشرعي الذي أنجبته التحولات الثورية بكل تناقضاتها.

و من هنا يحق لنا القول الآن أن نطرح السؤال المشروع، هل هناك علاقة بين الواقع الذي عاشته الجزائر وبين العمل الفني الذي جسده الروائيون الجزائريون في فترة السبعينات ؟.

« إذا حاولنا أن نرجع قليلا بهذا الأدب إلى الوراء و دخلنا حقبة الثورة الوطنية من جديد بكل التناقضات التي أفرزتها،ففي الوقت الذي نجد فيه سيطرة الحماسة المطلقة في كتابات تلك الحقبة التاريخية مع إستثناء الأدب الكولونيالي (المتجزئون) الذي كان ينطلق من إيديولوجية استعمارية واضحة أو الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية لكن هذه الاستثناءات لا تعمل إلا على تأكيد القاعدة، نجد الأدب الروائي الجزائري المكتوب بالفرنسية يحاول جادا الخروج من ضيق الرؤية إلى أفاق أكثر انطلاقا و تقدما، و أكثر إشراقا و وعيا بالمرحلة و مهامها العاجلة و بدور الأدب و الفن بشكل عام، في وقت غابت فيه الرواية العربية الجزائرية و على الساحة الأدبية باستثناء محاولة أحمد رضا حوحو التي توقفت عن نموها لظروف ذكرناها و لا نريد الخوض فيها من جديد » (1)، صاحب ذلك ظهور مهام جديدة، قديمة و أساسية و هي « القضاء على الرأسمالي (الاستعماري) عن طريق الثورة و قيام النظام الاشتراكي محله، في الوقت الذي بدأت الرأسمالية، باعتبارها تشكيلة إقتصادية و إجتماعية، تفقد أهميتها التقدمية و أصبحت تعيق التطور الاجتماعي (الامبريالية) إلا أن الأمر تطلب عشرات السنوات من صراع الشغيلة و الفئات الثورية الأخرى » (2) .

التي إعتمدت عليها الثورة التحريرية و إعادة بناء الوطن، بقي الفن يسير على وثيرة ثقيلة الى ان جاء الطاهر وطار و حاول بإبداعاته« إخراج الفن القصصي فما فيه الرواية من التابوت اللغوي و المضامين المستهلكة، و مع بداية عقد السبعينات التي شهدت تغيرات قاعدية ديموقراطية

---

(1) واسيني الاعرج: المرجع السابق، ص80

(2) ينظر اللينية و قضايا الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية في الظروف الراهنة– دار التقدم. سوسكو. 1985،ص9

كبيرة، فكانت الولادة الثانية و الأكثر عمقا للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، موضوع حديثنا، فجاءت □ اللاز □ كإنجاز فني جريء و ضخم،يطرح بكل واقعية،و موضوعية، قضية الثورة الوطنية لا من وجهة التحالفات المنطقية لقوى الثورة التي فرضتها تلك المرحلة، و لكن كذلك من وجهة التناقضات الداخلية التي كانت تحدث داخل الحزب الواحد و التي كانت تحاول القوى الرجعية تعميقها إلى حالة الإجهاض و الاحتواء من الداخل، و هي تريد بذلك قتل الثورة و هي لم تفلح بعد عينيها، و إستغلال مثل هذه الأوضاع، يظهر كما تبرزه رواية "اللاز" حين تكون القيادات المعول عليها جد هزيلة على المستوى الفكري و الإيديولوجي و على مستوى ممارساتها اليومية » ⁽¹⁾.

و الشيء نفسه قام به (مرزاق بقطاش) في روايته الأولى "طيور في الظهيرة" فقد حاول أن يغطي فنيا إنجازات الثورة الوطنية التي لم تتح فيها الظروف الصعبة، للرواية العربية في الجزائر أن تقوم بدورها التاريخي، قلت: يحاول بقطاش أن يرسم بريشة دقيقة معاناة الطبقة المسحوقة إبان الاستعمار الفرنسي، و الهموم الكبيرة التي يعايشها الأطفال، فيطمح و قد نجح في ذلك إلى أن يجعل من الحب لدى "مراد" قوة نضالية محركة من تغير الأوضاع إلى ما هو أحسن « يقد حول الكاتب الحب الإنساني الأصيل إلى مقياس للعلاقات الاجتماعية السائدة و جعل بذلك من الحب عند الفرد رمزا مؤشرا إلى المستقبل لتجاوز هذه العلاقات التي لا تكون جديرة أو غير جديرة بالإنسان إلا بمقدار تناسبها مع هذا المقياس، أن العلاقات الغرامية الفردية بين الرجل و المرأة تبدو في الوقت نفسه رمزا للحب الإنساني الشامل »⁽²⁾.

«و إذا عدنا إلى الطاهر وطار، نقول أن "اللاز"هي العمل الأدبي الجريء الفريد من الشجاعة الذي تناول قضية الثورة الوطنية بعيدا عن الشعارات التي تحتمي وراءها المواهب الهزيلة، فمعظم الذين كتبوا عن الثورة فشلوا بشكل من الأشكال، و سقطوا في الديموغاجية demagogies المجانية و الشعارية التي تضر بالعمل الأدبي أكثر مما تنفعه، و لعل ذلك ما سقط فيه محمد عرعار في روايته"مالا تذروه الرياح" إذ تساقط –ربما عن غير وعي–إلى أدب "قنطازي" يرمز

⁽¹⁾ واسيني الاعرج: المرجع السابق، ص81

⁽²⁾ ينظر ريدكر هورست: الانعكاس و الفعل (ديا لكيتيك الواقعية في الابداع الفني)، دار الجتاه و دار الفرابي، 1988ص90–96

بالروح السوبرمانية للمجاهد أو المناضل الجزائري، و هي بذلك الرواية تحرم الجندي الجزائري في نضاله الوطني من إنسانيته و تبعده عن واقعه الذي كان الأساس الأول في خلقه و تشكيله. و "البشير" بطل نهاية الأمس خضع للنمطية نفسها، فهو محور الأحداث، وهو الجندي الذي يهاجم فيالق عسكرية عديدة و لا يموت أبدا، فسقطة ابن هدوقة إذن جد واضحة، و هذا ما يجعلنا نزعم أن "أدب الحرب" ليس أمرا بسيطا، و حتى رواية "حورية" لصاحبها عبد المجيد لم تخرج عن هذا المحور، و لم يكن أكثر من شخصية طوباوية التفكير، خاضعة لمزاجها البورجوازي الصغير، فسقطت في الشعارية المستهلكة حتى أصبحت الكلمات لديها، مجرد تصنيفات لغوية، خاضعة لنسق معين لا يحمل وراءه أي ظل فني او فكري يمكن أن يخلق جوا من الجدل بين القارئ و الكاتب، بمعنى أصح، فاللغة كانت غائبة عن ديناميكية الأحداث، فالعذابات و الإستشهادات و الثورة، بالرغم من حرارتها و عظمتها كانت تمر كهياكل جاهزة لا تحرك القارئ الأمر الذي أضاع من يد عبد العزيز كتابه رواية حربية ناجحة »[1] .

فاللغة لم تسهم في كشف الأبعاد الدرامية للموضوع المتناول، بيد « انه لا يمكن في المؤلف الواقعي الجيد أن يفصل اللغة عن المحتوى، لأن الأسلوب ينفد إلى أعمق طبقات العمل الفني، و في هذه الحالة فقط نتحدث عن المهارة اللغوية »[2].

« هذا في وقت يفرق فيه "شريف شناتلية" من خلال روايته "حب أم شوق" في غيبوبة الرومنسيات التقليدية السلبية، ف " فلة " و " عز الدين " ليس إلا الوجه الآخر لتصور الكاتب في تعامله مع الواقع و فهم تناقضاته، فالحب إبان الثورة بدل أن يطرح بأبعاده الإنسانية، ظهر بكل بساطة عند " شناتلية " مجرد وهم، أو هوسا ميطافيزيقيا بعيدا عن المحتوى الإنساني لهذا الحب، حيث يكون النضال فيه، و تغير الأوضاع نحو الإحسان هو الأساس الذي يوجه هذه العلاقة و يحميها من مخاطر الإنزلاقات " الطوباوية " التي تصاحب عادة البرجوازية الصغيرة في مرحلة

---

[1] - واسيني الاعرج: المرجع السابق، ص81

[2] - ينظر ريدكرهورست: المرجع السابق، ص117

تحولها نحو قوى التقدم، ف " فلة " و " عز الدين " مصابان برتابة مقلقة و إستسلام مميت بالرغم من الطاقات الكامنة عندهما، و كان بإمكان □ شناتلية □ إستغلالها بشكل جيد و تسخيرها لعمله الروائي هذا، مع كل هذا لا نمتلك إلا أن نقول أن الأدب الروائي العربي في الجزائر، قد حاول في معظمه، و بمختلف إتجاهاته ان يكون في مستوى الثورة الوطنية، لكن الاختلاف حول تقويم هذا الأدب و تقويم توجهاته السياسية و الفنية يظل قائما نظرا لاختلاف حول تقويم هذا الأدب و تقويم توجهاته السياسية و الفنية يظل قائما نظرا لاختلاف التجربة و الوعي و الممارسات اليومية لدى كل واحد. و مهما يكن، فقد تناول هذا الأدب، بتحيز قضايا الإنسان البسيط و نضالاته التي يفوضها على كافة الأصعدة من أجل تغيير الأوضاع إلى ما هو أحسن »(1).

« بقي أن نضيف إلى هذه النتاجات الروائية، عملي الدكتور مرتاض " نار و نور " و " دماء و دموع "، فقد حاولت بدورها أن تكون في مستوى الثورة أو على الأقل تساير منجزاتها، فالمواضيع الطويلة العريضة التي تناولها الدكتور مرتاض سمحت له أن يخلق طابع بشرية، و لكنها طبائع " منمطة " او " نمطية "، فظهرت على الساحة الروائية و كأنها فوق الواقع البشري. و لعلها نفس الغلطة التي وقع فيها كتاب سبق ذكرهم، كابن هدوقة مثلا و الذي يعتبر عمله الأخير " نهاية الأمس " تراجعا عن مواقع سبق للأديب المذكور ان احتلها بشرف في رائعته "ريح الجنوب ". ذلك الانجاز الفني الذي أضاف إلى قائمة النتاج الجزائري الفكري إلى الواقعية الإنتقادية عملا جادا بكل ما تحمل الكلمة من معنى. و يكفي إنها كانت نبوؤة صادقة مثلا كانت ثلاثية محمد ديب »(2).

ففي الوقت الذي تنبأت فيه الأولى بالثورة الزراعية، تنبأت الثانية بالثورة التحريرية الكبرى، و هذا أمر طبيعي جدا. ف« العمل الفني الواقعي يوجه دائما إلى الأمام. إلى المستقبل خالقا في بنيته ذاتها حركة بإتجاه التاريخي التقدمي إتجاه إرتقاء العالم و الإنسان»(3).

« و بالرغم مما يمكن أن يقال عن هذه الأعمال، فهي تكسب حيويتها و شبابها من المواضيع

---

(1) - واسيني الاعرج: المرجع السابق، ص82

(2) - المرجع نفسه، ص 82

(3) - ريدكرهورست: المرجع السابق، ص90

التي حاولت معالجتها. تبقى الطريقة التي اعتمدتها في معالجتها لمثل هذه المواضيع، هي نقطة الاختلاف. فلا يختلف اثنان على ان " الهوس " الميثافيزيقي لم يظهر في الأدب الجزائري بشكل صارخ حتى يأكل صلب الموضوع المطروح،مثلما ظهر في آداب عالمية أخرى، فالأدب الجزائري – و الأمر جد طبيعي – يعيش في مجتمع بدأ □ يغتصب □ زوايا دافئة لصالح كل الفئات الشعبية المحرومة، كمقدمة لضمان مستقبلية المجتمع الاشتراكي، بالإضافة إلى الحياة اليومية التي تعتبر كلها نضال في نضال و صراع بين قوى التقدم و الخير و قوى التخلف و الشر، و التي تحتم على الأديب مهما حاول الهروب إلى الأمام في لحظات الضعف و النزوع نحو الانفلات الرومانسي، أن يعيش لحظة مواجهة مع الواقع أو ذاك، و التي تحيره على تحديد موقفه من مختلف القضايا المطروحة في العمل الروائي الواحد، و لعل هذه اللحظة، مع عظمة الموضوع المطروق هي التي تمنع الأديب من السقوط في السوداوية و الهوس الميطافيزيقي »(1).

« من هذا المنظور يمكننا أن نزعم أن طرح بعض الذين يؤكدون على العالم فوضى، و أنه من الصعب إعادة تنظيمه و ضبط علاقته في بعض البلدان الغربية، و هو طرح خاطئ من أساسه، و الصحيح أن عدم القدرة على فهم النسق الجديد الذي يجري على أسسه التطور الاجتماعي، هو السبب الأول الذي يؤدي إلى مثل هذه النظرة القلقة إلى العالم، و القلق بالطبع يستمد وجوده من تجربة ذاتية تنشا من النظر إلى الواقع بطريقة معينة، فالثورة الوطنية، كأي ثورة شعبية في العالم إعتمدت على كافة الطاقات الحية و الوطنية و الديموقراطية و التقدمية الثورية، و هذه الثورة أفرزت أدبها بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر بكل ما يحمل هذا الأدب في رحمه من تناقضات هي نفسها التناقضات التي صاحبت كل فعل ثوري، فالروايات و أن طرحت نفس المواضيع (الثورة الوطنية) بكل خلفياتها التي تعتبر بمثابة الخيط الرفيع الذي التفت حوله الحركة الوطنية إبان التحرير فهي تختلف أساسا في كيفية طرح هذا الموضوع أو ذاك حسب المصالح الطبقية التي

---

(1)- واسيني الاعرج: المرجع السابق، ص85

يعبر عنها الكاتب أو ذاك، فحين تطرح رواية " حورية " إشكاليات الثورة الجزائرية من منظور ديني استلهم طروحات جمعية العلماء المسلمين، فهي بذلك و ربما عن حسن نية تطرح قضية المحافظة على كل التقاليد الجيد منها و السيئ، و شاءت أم أبت " الإقطاع " و " البورجوازية " و تصبح سلاحا يشهر في وجه القوى التقدمية »(1) .

من هنا « فرواية " حورية " تعبر عن مصلحة ما، و بالتالي فهي موقف طبقي من كل ما يجري على مستوى الواقع، فصاحب رواية " حورية "، مع محدودية رؤيته الفكرية و الجمالية لم يتمكن من النفاد إلى أعماق حقيقة التناقض من أجل إكتشاف الوسائل التي تمكن من حل هذا التناقض او على الأقل المساهمة في ذلك عن طريق مباشر، فالأوهام الطوباوية قادته إلى تماسات تحاذي دائرة الموضوع لكنها لا تتوغل فيه »(2).

و ربما كانت نية (عبد العزيز عبد المجيد) خلق لوحة فنية لهذه الثورة من منظور خاص قد تختلف معه جذريا، بعكس رواية □ اللاز □ للطاهر وطار التي حاولت أن تجسد بعمق نفس المرحلة التاريخية بل و تخوض غمار التجربة النضالية من موقع المصلحة الطبقية للفئات الجماهيرية الواسعة و الأكثر إنسحاقا، فقد إستطاعت من خلال كاتبها ان تتملك الواقع الذي أصبح فائق التعقيد نتيجة مجمل الترابطات و العلاقات بين جميع جوانبه و أجزائه المكونة »(3) .

« النتيجة التي نتوصل إليها أن الأدب الروائي حاول و قد إستطاع في كثير من نماذجه تغطية منجزات الثورة الوطنية، حتى و لو جاء ذلك متأخرا. و أن الاختلافات المطروحة حول كيفية هذه التغطية ترجع أساسا إلى التوجهات الفكرية و الجمالية لدى كل أديب على حده، بالإضافة إلى التناقضات التي أفرزتها هذه الثورة الوطنية، و هذا الجيل المتمثل في كل القوى الديموقراطية و الوطنية التي تعمل ضمن جبهة عريضة تعادي الاستعمار بمختلف أشكاله »(4).

---

(1) - واسيني الاعرج: المرجع السابق، ص85

(2)- ينظر سوتشكوف بوريس:المصادر التاريخية للواقعية، دار الحقيقة، بيروت 1974،ص109

(3)- ينظر ريديكر هورست: المرجع السابق، ص110

(4) - واسيني الاعرج: المرجع السابق، ص86

« كما ان التحالفات التي فرضها واقع الصراع الاجتماعي، يظهر بشكل جد واضح على المستوى الفني، فقضية التحالف بين الواقعية النقدية و الواقعية الاشتراكية متضمنة أيضا من طبيعة الفن، فمن المحال أن نستخلص مبادئ الواقعية الاشتراكية دون أن ناخد بعين الاعتبار التعارض بين الواقعية و الحركة الحديثة (الميثافيزيقية) فأصحاب النظرية الواقعية الاشتراكية يدركون هذا إدراكا تاما، فلطالما أعتبروا كبار الكتاب الواقعيين النقديين حلفاء لهم في نضالهم من أجل تحقيق المثل الاشتراكية أو على الأقل انجاز المهام الديموقراطية، و سيادة الواقعية في عالم الجمال على المستوى الفني، فالواقعية الاشتراكية، كما يقول جورج لوكاتش: هي الوريث الشرعي المتطور للواقعية النقدية، و من هذه الزاوية تستحق الواقعية الاشتراكية أن ترث وشاح لتولستي »(1)

و من هنا فليس سرا ان تلتقي رواية " ريح الجنوب " لابن هدوقة لابن هدوقة، في نقاط كثيرة مع رواية وطار الطاهر " الزلزال " او العكس، فكلاهما لبنة تطوير الثاني، مع العلم أن لكل واحد من هذين الأدبيين قدرته الخاصة في الكشف عن حقيقة الصراع الاجتماعي الدائر بين مختلف القوى، و هذا ما يحدد توجيهات كل واحد منها.

« مع بداية السبعينات من هذا القرن، ظهرت على مستوى الواقع اليومي الذي يشهد صراعا خفيا تارة، و مفضوحا تارة أخرى، تغيرات جذرية غيرت وجه الجزائر كما سبق أن أتينا على ذلك في فقرات سابقة، فقد كانت لنضالات العامل في مصنعه و الفلاح في حقله و الشيبة الثورية في مراكزها، مكاسب ديموقراطية تحققت فكانت بمثابة ثمرة و النتيجة الحتمية للصراعات التي تقودها القوى الحية في البلاد و على كافة المستويات و الأصعدة»(2).

و من هنا فالثورة الزراعية، و التسيير الاشتراكي للمؤسسات، و التأميمات، و الطب المجاني، و كذلك الأطر الديموقراطية للنضال الثوري و الوطني بشكل شرعي على مستوى الجامعات و خارجها، ك " لجان التطوع " لفائدة الثورة الزراعية، اللجان التربوية و غيرها من الأطر المتقدمة

---

(1)- ينظر لوكاتش جورج: معنى الواقعية. دار المعارف، القاهرة، 1981 ، ص104- 105

(2) - واسيني الاعرج: المرجع السابق، ص87

جدا، و التي ما تزال تحتاج إلى تعميق أكثر، يحافظ على ديمومتها و بقائها.

فهذه المكتسبات، بكل تناقضاتها في هذا الظرف التحولي، لم تفرض من فوق، و لكنها كانت ثمرة الصراعات و النضالات اليومية التي قادها العمال و الفلاحون و الطلبة الثوريون على طول مسار التاريخ الجزائري بالمساهمة الفعالة للسلطة الوطنية، الأمر الذي يدفعنا إلى الزعم بأنه « لا يمكن تحمل نجاح المهام المعقدة للتغلب على التخلف الموروث عن الاستعمار، و خلق المقدمات اللازمة للانتقال إلى الاشتراكية إلا إذا استخدمت السلطة السياسية كأداة لتحولات اجتماعية عميقة، و بعبارة أخرى فان حل المهام المشار إليها يفترض دولة تعبر عن مصالح الفئات الواسعة من الشعب و في المقام الأول، مصالح الكادحين »(1).

« و هذه العلاقة الديالكتيكية: القاعدة و القمة = القمة و القاعدة، كانت نتيجتها تلك المكتسبات الجماهيرية، بكل ما تحمل هذه المكتسبات من تناقضات. لها ما يبررها إذا وضعت وجها لوجه مع الواقع و طبيعة المرحلة الديمقراطية الوطنية، فمرحلة التحولات الوطنية الديموقراطية مشحونة بالتناقضات على الصعيدين الاجتماعي السيكولوجي و الايديوكوجي أيضا، فمن جهة تنشر في هذه الفترة مشاعر التشاؤم و القنوط و خيبة الأمل التي تمتلك الفئات البرجوازية الصغيرة التي كانت تتوقع حدوث تحسن جذري و سريع في أوضاعها، علاوة على أنها غير مهيأة نفسيا لخوض نضال مديد و عسير ضد دسائس الرجعية كما أنها تشعر بالحيرة و الارتباك إزاء مصاعب التطور الرأسمالي (...) »(2).

و من هنا يظهر صدق تجربة عبد الحميد ابن هدوقة، حيث استطاع تشريح وضع مرفوض قلبا و قالبا و على كل المستويات « كما توصل إلى أن يرى، وراءه وقائع الحياة اليومية و ظاهراتها، اللوحة العامة للحركة و صراع مختلف القوى الاجتماعية »(3).

---

(1)- ينظر دولة الاتجاه الاشتراكي اداة التحولات الثورية، ص9

(2) - واسيني الاعرج: المرجع السابق، ص86

(3) - ينظر سوتسكوف بوريس، المصادر التاريخية للواقعية، ص 70

« و ذلك من خلال الإقطاعي " عابد ابن القاضي " و الراعي " رابح " و " نفيسة " نموذج المرأة البرجوازية الصغيرة، المتجدرة مستقبلا من جهة التقدم، و من خلال العجوز "رحمة "ذاكرة الثورة الوطنية بحسها الشعبي، و وعيها البسيط، بكل أحلامها و تناقضاتها، يدفعنا ابن هدوقة إلى توقع وضع أحسن، يكون بدون شك مخالفا للوضع الأول و على كافة الأصعدة، فكانت بذلك الثورة الزراعية الحلم الذي يجعل من الرواية، كرواية " ريح الجنوب " إنجازا فنيا هاما، أضاف إلى الرواية العربية في الجزائر لبنة متبينة في إطار خلق و ترسيخ القيم الثورية الجديدة و تدمير الموروث البالي المتخلف و بطبيعة الحال، فهذا لا يشفع ل □ ابن هدوقة □ أخطاءه في رواية " نهاية الأمس " و التي تعتبر تراجعا عن مواقع كان قد صنعها لنفسه، حين أقدم على كتابة "ريح الجنوب "، و عسى أن تأتي روايته الأخيرة " بان الصبح " التي لم تنشر بعد،بشيء جديد »(1).

« و نصل في النهاية إلى أن الطرح الذي سبق أن ناقشناه، فمع ضراوة الصراع و احتدامه، و إحتلال مراكز قوة جديدة من طرف القوى الديموقراطية في البلاد، و تحقيق مكتسبات جماهيرية جديدة على أرضية الواقع اليومي، ظهر هذا السبيل من الروايات، كتجسيد فني لهذه المرحلة، و لهذا الوضع المستجد الذي فرض وعيا أكثر تقدما و تطورا على القوى التي يهمها مستقبل الجزائر الاشتراكي، و معظم هذه الأعمال الروائية بمختلف إتجاهاتها المتناقضة أحيانا، تناقضا ليس إلا الوجه الآخر للتناقض الاجتماعي، و بغض النظر عن نجاحها أو عدمه، تستهدف في مجملها خلق المجتمع البديل الذي يدمر كل القيم البالية، و يوفر الخبز لكل فم و الفراش و الدفء و المدرسة لكل إنسان، و نشير الى التفاوت الواضح من تجربة روائية الأخرى لدى الفنان الواحد (فالإنسان نتاج المجتمع و مثلما يتطور هذا الأخير، يتطور الإنسان) أو لدى كتاب مختلفين، حسب الاتجاه الفكري و الجمالي لدى كل واحد، كما يجدر بنا أن نذكر بعض الإبداعات الروائية التي عملت و تعمل على تكريس العقلية المتخلفة في الجزائر و هي ليست في النهاية إلا استثناءات تؤكد القاعدة، و سنظهر ذلك بوضوح أكثر حين تناولنا لاتجاهات الرواية العربية في الجزائر، فليس سرار إذا أطلقنا على السبعينات (1970- 1980) عقد الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، فقد شهدت هذه الفترة وحدها ما لم تشهده الفترات السابقة من تاريخ الجزائر، على الإطلاق من

---

(1) - واسيني الاعرج: المرجع السابق، ص93

إنجازات سواء أكانت اجتماعية أم سياسية، او اقتصادية او ثقافية، فكانت الرواية تجسيدا لذلك كله، و تعداد بسيط لأعمال الروائية التي شهدت ميلادها هذه الفترة »(1).

و قد حاولنا بناء موضوعنا على هذه الفترة و ذلك من خلال رواية ريح الجنوب لعبد الحميد ابن هدوقة التي كانت النتاج الفني الطبيعي لهذه المرحلة التاريخية، المرحلة الديموقراطية الوطنية بكل تناقضاتها الموضوعية.

---

(1) - واسيني الاعرج: المرجع السابق، ص99 - 100

الفصل الاول

الفصل الأول:

المبحث الأول: عوامل نشأة الرواية

أ– السياسية.

ب– الاجتماعية.

المبحث الثاني: البنيات السردية في الرواية

أ– الشخصيات .

1– الرئيسية.

– شخصية ابن القاضي.

–شخصية مالك. –

– شخصية نفيسة

2– الثانوية:

– خيرة ام نفيسة.

– العجوز رحمة.

– الراعي رابح.

ب– الزمان.

ج– المكان.

1 - ظروف و عوامل نشأة رواية ريح الجنوب:

أ- الظروف السياسية:

لكل جنس أدبي عربي أو غربي ظروف و أسباب أدت او ساعدت على نشأته و حتى تطوره سواء أكانت سياسية أو اجتماعية ... داخلية أو خارجية، الرواية التي هي مرآة عاكسة للمجتمع بكل أبعاده و هي بطاقة هوية الأمم عامة، كانت نشأتها في ظل ظروف فتحت لها أفاق التطور و الاستمرارية، و ذلك من خلال الأساليب الفنية و الموضوعية التي دمجت بها فرواية – ريح الجنوب – التي قال عنها أغلب النقاد و الباحثين بأنها أول رواية جزائرية بلغت نضجا فنيا في تلك الفترة « حدثا و شخصيات و أسلوبا و بعدها جاءت رواية الزلزال للطاهر وطار و غيرها من الروايات التي جاءت بعدها. وجاءت بعد أن قطع هذا اللون الأدبي في معظم أقطار الوطن العربي شوطا كبيرا في تونس و المغرب »(1).

« فقد نشأت هذه الرواية في فترة كان الحديث السياسي جاريا بشكل جدي عن الثورة الزراعية، فأنجزها في 5 نوفمبر 1971 ، تزكية للخطاب السياسي الذي يلوح بآمال واسعة للخروج بالريف من عزلته و رفع عن الفلاح و دفع أشكال الاستغلال للإنسان، و سرعان ما تكرس ذلك الخطاب الطويل الذي هلل له الإعلان كثيرا في قانون الثورة الزراعية الصادر رسميا في 8 نوفمبر 1971 ، ثم دخل التطبيق الفعلي، فدشن الرئيس الهواري بومدين 17 جان 1971 أول تعاونية للثورة الزراعية في خميس مليانة قرب مدينة الجزائر، ثم بدا في بناء القرى الاشتراكية (برمجت ألفا قرية فكانت أول قرية يدشنها بو مدين القرية الاشتراكية في عين نحالة بتاريخ 17 جوان 1971) »(2).

« حيث كان هواري بو مدين يلقي خطابا على المواطنين، حيث يطلب مباشرة رأي مفكرين و أدباء في موضوع الثورة الزراعية، فقد يناقضه البعض و لا يعمل برأي البعض، فلم يكن عبد

---

(1)- عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث (تارخا، انواعا، قضايا و اعلاما) ، دط، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون1995 .

(2) - المرجع نفسه، ص198

الحميد بن هدوقة بعيدا عن المحيط فاجتد به مشروع الثورة الزراعية قبل أن يصير ميثاقا، كما راقته من دون شك الفكرة بملامحها الإنسانية للخروج بالريف من التخلف، فانساق مع ذلك التيار »(1).

---

(1) - المرجع السابق، ص 203.

ب- الظروف الاجتماعية:

أما الظروف الاجتماعية التي كانت بدورا و أثمرت على يد الكاتب عبد الحميد بن هدوقة و أنتجت هذه الرواية نقدمها مختصرة، فقضية الثورة الزراعية هي البذرة التي أنتشت هذه الأحداث المتعلقة بالصراع الإنسان حول إمتلاك الأراضي و تمليكها، و ذلك في نظرهم للخروج من الريف من تخلفه، و من قبضة مالكه الغير عارف لحقه، و تمليكه للفلاح المجاهد و المثابر من أجل تنميته.

و قد بات هذا الموضوع شاغلا للناس في تلك الحقبة الزمنية،و الذي تولدت عنه أحداث كثيرة في تلك القرية الريفية بصفة عامة و في عائلة ابن القاضي بصفة خاصة، الذي رفض النظام الاشتراكي و أخد يجري وراء المصالح الدنيوية باحثا عن من يساعده في الحفاظ على أراضيه و ممتلكاته، فوصل به الطمع و الجشع إلى التضحية بأبنائه، فكان دائما يردد : الأبناء هم الحل » (1).

فالضحية الأولى كانت ابنته المرحومة □ زليخة □ و الثانية الطالبة الجامعية □ نفيسة □ و التي قضى على مستقبلها تلبية لأطماعه، و جعلها كبش فداء، حيث أراد أن يزوجها لمالك رئيس البلدية، بدون رغبتها، ضنا منه انه يستطيع ان يساعده في الحفاظ على أراضيه و ممتلكاته. و بهذا تحولت حياة □ نفيسة □ إلى كابوس منامه لا يستطيع الاستيقاظ منه، سبب هذا الكم الجائر الذي أصبحت به □ نفيسة □ مصيرها يقرره لها غيرها لا هي، و ذلك تلبية لمطالب و أطماع أبيها الإقطاعي.

---

(1) - عبد الحميد بن هدوقة: ريح الجنوب، ط3، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1977.

2- شخصيات الرواية:

أ- الرئيسية:

أ-1- شخصية ابن القاضي:

هو شخصية إيجابية و لكن من نوع آخر- الانتهازي - المداور الأناني الفردي، و هذه الشخصية تعد سلبية لأنها لا تقوم بالعمل بهدف سام و نبيل أو لمصلحة الآخرين. بل كل ما يخطط له و يفضله إنما هو لمصلحته الخاصة، و من هنا فان الطرق و الوسائل مباحة عنده ما دامت تساعده على ان يحتفظ بالأرض، و لو على حساب إبنته و سعادتها، فهو شمل الطبقة الإقطاعية الاستغلالية، و ذلك من خلال علاقته بمالك ... أدرك ابن القاضي بحدسه أن الإصلاح الزراعي يسهل له و إلى أرضه، و إذن فلا بد من التقرب إلى مالك ... فكان الحل نفيسة، فمالك حمل السلاح من أجل الوطن، و ابن القاضي سلاحه المال و إظهار التعاطف الكاذب مع الثورة، بمدها بالمال القليل لا شعور بالواجب الوطني، و لكن ليتقي غضب الثوار، ثم لكي يتقرب أيضا لهذا المجاهد الذي عرض عليه إبنته الأولى زليخة التي استشهدت بسبب لغم وضعه الثوار، إنتقاما من العدو و قد أحس بهذا مالك ... ولكن لم يكن يملك الحجة البالغة، فهو من ذلك النوع المرائي الذي يلبس القناع ليخفي نواياه الحقيقية، فهو يحتفل مع الناس بؤلئك الشهداء الذين سقطوا دفاعا عن الوطن، و هو في قرار نفسه لا يؤمن بذلك، لكنه لا يهتم سوى بمصالحه التي يخفيها تحت هذه التصرفات (1).

أ - 2- شخصية مالك:

« رمز ذلك المناضل الجاد ... الحائر أيضا الذي يرى التخلف و يعاني مشاكله و يطمح للتغيير، و لكن العين بصيرة و اليد قصيرة، او المسؤولية تتطلب تضافر الجهود و مع ذلك فهو لا يتميع، و بالتالي فهو لم يتحول إلى ناقم كما تحول البعض، كما لم يتحول إلى انتهازي و وصولي يتاجر بالثورة و يتخذها معبر المصالحة، و لم يجعل لهذه الأسبقية على القضايا الوطنية و المبادئ السياسية له و لوطنه، و الطاهر بدوره هو ذلك الرمز من الالتحاق لأمثاله في عالم الماديات، يطمح لواقع أفضل ترصف فيه الشوارع و تعبد الطرق و تشيع فيه النظافة، و يعم التعليم و ينشر

---

(1)- عبد الله ركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث.دط، تونس 1978م ، ص204

الوعي الصحي، و يتوفر الطبيب كما تتوفر الحياة الكريمة للجميع، و أن بدا يسخط على وضعه في غرفته الضيقة، يتوسد كتبه و يتدثر بها ساخرا من فكرة زواج أمثاله، في وضع كوضعه فإنما ليدين العوامل التي تقع وراء مأساته ... و مأسات أمثاله، فهو و مالك رمز الطموح و الوفاء، و التشوق إلى الغير، و الراعي و نفيسة رمز الثورة و التمرد، وابن القاضي فرمز الخبث و النفاق و الانتهازية في حين تعتبر كل من رحمة و خيرة صورة من و جه مؤلم اليم في الغبن و الظلم و الشقاء و الحرمان »[1].

« فمالك أول من حمل السلاح ضد المستعمر عن وعي و إدراك بضرورة النضال ... و في الوقت نفسه كان يشكل خطرا كبيرا على ابن القاضي و أمثاله»[2].

أ-3- شخصية نفيسة:

«الحاملة لواء المرأة الثورية ضد الإقطاع، و هيمنة الرجل، فقد كانت بين فكي روحي ,الفك الأسفل تمثله رغبات مالك، و الفك الأعلى تمثلها أطماع أبيها »[3].

فهي المرأة المثقفة التي تعاني من الواقعين، الواقع الريفي المتخلف بتقاليده، و الواقع الحضاري برؤاه و أماله، ثم ينتصر الواقع الأول فتعود نفيسة إلى منزل أبيها بعد ان تحرك فيها الحنين و الشفقة ... » [4].

و قد عاشت هذه الشخصية صراعات حادة،أولها وقوفها في وجه أبيها لرفضها الزواج من مالك، و ثانيها انها كانت تسخر من أمها التي كانت تطلب منها ان تتعلم طهي طعام الريف، و ثالثها طرد الراعي طردا شنيعا، بعد محاولته إغتصابها، و رابعها النقاش الحاد مع العجوز رحمة على العمل المنزلي، و خامسها حكمها على جنس الرجل بالجهالة، لما يتقولونه عن نساء القرية. و نفيسة ضرب من الجيل الجديد اذ بقيت فيها نزعة من ارستقراطية أبيها، فان في نفسها ثورة على

---

[1] - عمر بن قينة :دراسات في القصة القصيرة و الطويلة، الجزائر1986 ص169

[2] - رشيد بويجرة:الشخصية في الرواية الجزائرية1975، 1981 رقم النشر، 2054-09-4 الجزائر ص86

[3] - رشيد بويجرة:المرجع نفسه، ص92

[4] - رشيد بويجرة:المرجع نفسه، ص93

تقاليد تسلمت فيها المرأة ألوان الظلم، من حقها وقد رحل الاستعمار و عرفت الحياة لها كلمتها(1).

ب -الشخصيات الثانوية:

ب-1- خيرة (أم نفيسة):

فهي ذلك النموذج الذي لا نصيب له إلا الدمع تدرفها، و هي تهان و تسقط من إلي حساب، لا في ما يتعلق بالأسرة و الحياة فحسب، لكن فيما يتعلق بها او حتي بفلدة كبدها، فهي شخصية غير مالكة لذاتها و لا لغيرها، دائما تحت سيطرة زوجها ابن القاضي(2).

ب-2- العجوز رحمة:

العجوز الفنانة التي كانت تصنع الفخار في القرية، و ترسم عليه رسومات معبرة، فما من منزل في القرية إلا و فيه بصمات العجوز الموهوبة، و لكنها في لحظاتها الأخيرة أحست بأنها قدمت للآخرين ما عندها بينما هم لم يقدموا لها شيئا. زوجها متوفي هي بطلة القرية التي كافحت في صمت و أسعدت بيوتا كثيرة بينما هي شقية (3).

ب-3- الراعي رابح:

كان خادما لابن القاضي في رعي الغنم، و قد كان مخلصا في عمله، هذا انه كان خائنا من جهة ابنته التي أعجب بها فحاول أن يمس بشرفها، فادى به إلى إهانة كبيرة من طرفها التي وصفته بالراعي القذر، بذلك تخلى عن عمله و انتقل الى عمل اخر في رأيه اشرف من الأول، و هو جمع الحطب و بيعه لأهل القرية. و قد قضى حياته كلها مساندا لامه البكماء، و هو إنسان لطيف معين متسامح فرغم ما حدث له مع نفيسة إلا انه أنقدها من الموت حين أرادت الفرار من بيت أبيها للتخلص من قبضة والدها و مالك، و أعادها إلى بيته أيام(4).

---

(1)- عمر بن قينة :المرجع السابق، ص168

(2)- عمر بن قينة :المرجع نفسه، ص168

(3)- عبد الله ركيبي: المرجع السابق، 109- 100

(4) - عبد الحميد بن هدوقة: المرجع السابق

3- المكان و الزمان:

أ- المكان:

لكل حادثة فضاء وقوعها، « و يحتل في الرواية الحديثة مكانة فاعلة لها دورها المهم و المؤثر في أفضاء رؤى خاصة تعبر عن واقع ما يحتويه النص من أفكار و معاني تجسد عالم الكاتب و رؤيته الخاصة اتجاه الحياة حول هذا الواقع حيث يعتبر المكان واقعا له حضوره الخاص و سطوته المؤثرة داخل النص لاحتوائه على كثير من العناصر المكونة لمستويات النص الروائي المختلفة، و سائر المكونات الأخرى المستخدمة في البناء الفني للنص الروائي»(1).

و لكل رواية مكان او فضاء، فالرواية التي نحن بصدد دراستها – ريح الجنوب – قد جرت أحداثها في إحدى القرى الجزائرية الريفية « بمنطقة تقترب من الهضاب العليا،بين جنوب الوطن و شماله ببرج بوعريريج، حثث تقبع قرية رعوية صغيرة التي يقطنها(عابد ابن القاضي) الإقطاعي دو الأراضي الفلاحية الواسعة و الأغنام، و الذي هو والد نفيسة بطلة الرواية الطالبة الجامعية بمدين الجزائر »(2). « و ان هذه القرية عرضة لهذه الريح – ريح الجنوب– التي سميت الرواية باسمها، هذه الريح هو ريح (القبلي) التي بقيت تهدد محاصيلها الزراعية في مزارع الحبوب، كما تهدد قناديلها في البيوت فتطفأ دبلاتها في لحظات انقضائها »(3).

ب- الزمان:

ليس الغرض من هذه الدراسة أدباء ملاحظات حول الزمن الروائي في ريح الجنوب و وظائفه، و انما الغرض تقديم الملاحظات حول تحديد الدارسين للومن في رواية ريح الجنوب، و نقصد بالزمن هنا الذي تنبثق منه معظم الأحداث بغض النظر عن الأزمنة الأخرى الموجودة في الرواية، و بعبارة أخرى ان غرض الدراسة سينصب على الفترة التي تدور فيها أحداث – او جل الأحداث – رواية ريح الجنوب وتحديدا الدارسين لتلك الفترة و العوامل التي أدت إلى ذلك.

لا غر و اذا شاركنا معظم الدارسين لريح الجنوب في أرائهم حول معالجة الرواية لقضية الأرض

---

(1)- عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث. تونس 1978م. د ط عدد الناشر 78: 14. 400 ص93- 94

(2)- عمر بن قينة: في الادب الجزائري الحديث (تاريخا، انواعا، قضايا و اعلاما) ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر دط. رقم النشر - 40 - 90 - 40- 05- 1995 ص198

(3) - المرجع السابق

في عهد الاستقلال، لكن هذه المشاركة تبقى محدودة بفترة زمنية محددة، هذه الفترة التي تحددت على اكثر تقدير بمنتصف الستينات، و ليست ببداية السبعينات كما ذهب الى ذلك كل من الدكتور عبد الله الركيبي، و الدكتور واسيني الأعرج، و الاستاذة جلطي ربيعة، و الأستاذ بويجرة بشير محمد.

لقد إستندنا في تحديد الفترة الزمنية التي تدور فيها أحداث رواية ريح الجنوب الى الرواية ذاتها، أي ان تحديدنا للفترة ليس رغبة ذاتية محض بقدر ما هو مستمد من الرواية نفسها و بالتحديد من ذكر الروائي - مرات عديدة - لعمر نفيسة ... فوجدنا عبد الحميد حدد عمر نفيسة بتاريخ تقدم مالك لخطبة زليخة وهي أخت نفيسة التي بلغت من العمر السنة العاشرة. و ان كان الروائي لم يحدد ايضا السنة التي تمت فيها الخطبة، فانه اشار فيها الى ان مالك و زليخة تراسلا سنة كاملة قبل ان تموت زليخة في سنة 1957 و معنى ذلك ان الخطوبة تمت سنة 1956 , أي ان عمر نفيسة هذه السنة هو عشر أعوام، فإذا أضفنا ثماني سنوات الى سنة 1954 فان التاريخ يحدد سنة 1964و من خلال ذلك يمكننا القول دون مراء بأن أحداث الرواية تجري في السنة التي ذكرها الروائي 1964 في متن الطبقة الثالثة من الرواية ...»(1) .

دون تحديد للسنة، و من هنا نستنتج ان أحداث الرواية تدور في سنة 1964 و ليس كما ذهب اليه اغلب الدارسين على انها ترصد الصراع الاجتماعي الذي كان دائرا في بداية السبعينات حول قضية الارض، و بعد هذا يمكننا القول ان ريح الجنوب ترصد ردود الفعل الاولى حول الاصلاح الزراعي و موقف الفئات الاجتماعية منه و لعل ذلك يتضح من خلال المكالمة التي يجريها ابن هدوقة بين مالك و رضا اذ يقول الاول متحدثا - عبر الهاتف - الى الثاني: « انك مخطئ انه (الاصلاح الزراعي) في طور الطفولة و لن يستطيع احد ان ينتظر سنة او سنتين » و هي الفترة التي قطعها الاصلاح الزراعي منذ 6 مارس 1963 أي على الاقل قد مضى عليه سنة او اكثر من ثلاثة أشهر على أعتبارات ان أحداث الرواية تدورفي صيف 1964 كما اوضحنا ذلك و في الحقيقة أننا نجد ثلاثة أعذار أسهمت الى هذا، و ذلك في دفع الدارسين إلى ذلك الموقف الذي أتخذوه من الفترة التي تعالجها الرواية.

---

(1)- عبد الحميد بن هدوقة: الملتقى الوطني ، ص38- 39

يتمثل العذر الاول في وجه الشبه بين الاصلاح الزراعي و الثورة الزراعية لاسيما بالنسبة الى الدارشين الذين أسهموا ما يميز ذلك المشروعين.

و يتمثل العذر الثاني في صدور الرواية في بداية السبعينات، و هي الفترة التي عرفت صراعا إجتماعيا واضحا اكثر من ذي قبل حول قضية الارض، مما أدى بالدارسين الى ربط الرواية ببداية السبعينات ربطا مباشرا دون تدقيق النظر في تلك الفترة الزمنية التي تحددها الرواية من خلال أحداثها. و بعبارة أخرى ان الدارسين لريح الجنوب خضعوا للفترة التي صدرت فيها الرواية أكثر مما خضعوا الى الاحداث التي تحدد من داخل الرواية، أي انهم انساقوا وراء أحداث السبعينات أكثر من انسياقهم وراء الفترة التي تريد الرواية تصويرها. ففي هذا المجال يقول الدكتور عبد الله الركيبي ريح الجنوب موضوعا تلتقي فيه مع رواية اخرى و هي الزلزال و نعني به موضوع الثورة الزراعية، و مرة أخرى يربط حديث ريح الجنوب عن الاصلاح الزراعي و الثورة الزراعية.

و يقول الاستاذ بشير بويجرة محمد عن عابد ابن القاضي:« أصبح لا يهمه أي شيء في القرية عبر مصلحته الشخصية،و لا يدافع الا عن أرضه التي كانت يتهددها الثورة الزراعية. »، و يقول واسيني الاعرج في هذا المضمار ان ريح الجنوب تتناول « الفترة التي سبقت إصدار قانون الثورة الزراعية بقليل و في مكان آخر يوضح ان الرواية تجسد مرحلة الستينات و بالضبط اواخر الستينات » و تقول الاستاذة ربيعة جلطي ان ريح الجنوب تطمح فيما تطمح الثورة الزراعية، و يقول عن ممارسات عابد بن القاضي أنها ليست وليدة السبعينات. الى تمثيل قضية الارض و ما يتبعها من صراع اجتماعي و سياسي، في ظل بداية الثورة الزراعية (الاصلاح الزراعي كما يسمى في الرواية بتأميم و تحديد الملكية)(1).

---

(1)- عبد الحميد بن هدوقة: الملتقى الوطني ، ص39

أما العذر الثالث ... يتمثل في نظرة ابن هدوقة نفسه للاصلاح الزراعي الذي صدرت مراسيمه بعد استلاء الفلاحين و العمال الزراعيين على مزارع المعمرين الاروبيين ... غير ان ما يلاحظ في هذا الشأن ان للاصلاح الزراعي لم يكن واضحا بدرجة كبيرة عند ابن هدوقة مما أدى الى ان تخسر جانبا على غاية الأهمية لاسيما ان الرواية كتبت بعد فترة لاباس بها من تجربة الاصلاح الزراعي، و لو تجاوز الروائي ذلك الماجد لكان قد أضاف الى مضمون روايته ريادة اخرى لم يسبق لها من قبل(1).

---

(1) ـ عبد الحميد بن هدوقة: الملتقى الوطني ، ص41

الفصل الثاني

الفصل الثاني:

أ– القيم الإنسانية في الرواية.

1– المحبة و الحنان.

2– الوفاء.

3– الإحسان.

4– التعاون.

5– الإخلاص.

6– بر الوالدين.

7– التواضع.

8– النصيحة.

9– الرفق و اللين.

10– الشكر.

11– الأمر بالمعروف.

12– حسن الضيافة.

13– المسامحة.

14– زيارة المريض.

15– الأمانة.

16 - العفة

القيم الانسانية في الرواية:

1- المحبة و الحنان:

المحبة و الحنان خصلة من اجمل الخصال، فبها يستطيع الانسان الخروج من دائرة الأنانية الضيقة، و الانطلاق الى دائرة أرحب و أشمل و هي الشعور بالإيثار للجماعة، ومن ثمة المساهمة في تحقيق أهداف الأمة، و المشاركة في بناء المجتمعات، و تقديم ما يستطيع من الخدمات لافراده، و ان كسب محبة الناس امر تشتاق له النفوس، و تتلهف لتحقيقه و الوصول إليه مهما كانت التضحيات، فمحبة الغير يصاحبها إكتساب الكثير من مكارم الأخلاق الأخرى، كالتعاون، الإيثار، و المشاركة في السراء و الضراء. و هذا ما لحظناه في الرواية التي نحن بصدد دراستها. فالمحبة و الحنان في الرواية يتجسد في السلوك الذي قامت به أم نفيسة خيرة إتجاه ابنتها في اليوم الذي إنحطت نفيسة نفسيا جراء تفكيرها في قرار والدها بتزويجها بمالك، و الايام التي قضتها في الجامعة، فقد ضاقت صدرها و أخدت تقرر « أكاد انفجر ! أكاد انفجر في هذه الصحراء! .» و فاضت عينها بالدموع، و اردفت قائلة:« كل الطلبة يفرحون بعطلهم اما انا أقضيها في منفى ... » كانت أمها في تلك اللحظة مقبلة تحمل بين يديها طبقا يشتمل على صحن صغير به فطائر و ابريق قهوة و فنجان و سكرية. فتحت الباب فرات نفيسة تبكي، فقالت لها بدهشة و حنو:

« نفيسة ! تبكي ! مالك يا عزيزتي ؟ »

وضعت الطبق النحاسي فوق المنضدة و أقتربت منها و هي تقول متسائلة:مالك يا عزيزتي ؟ هل أنت مريضة ؟

إرتمت نفيسة على أمها التي جلست الى جانبها فوق السرير و أنهالت بالبكاء، و لم تجد الأم ما تروح به عن إبنتها الا الدموع، و بقيتا تبكيان متعانقتين، برهة من الوقت، ثم قالت الأم و قد هدأت دموعها: مالك يا نفيسة ؟ ما يبكيك. قولي: ما يبكيك ؟ .

فأجابت : لا شيء أزمة دموع لا أكثر، و أضافت و هي تمسح عينيها قائلة في إبتسام: انني مجنونة ! ابكي بلا سبب.

فردت الام قائلة: الله يسترك يا بنيتي. قولي الم تعجبك الإقامة بيننا ؟.

فقالت نافية: لا، لا ... أحسست بضيق لا أكثر ... ربما الحر هو السبب.

فقالت الإم: لعلك حلمت أحلاما فأزعجتك ؟ أنا كذلك أصبح حزينة في بعض الاحيان عندما أحلم احلاما سيئة. لا، لم احلم، انما احسست بضيق و وحشة، أبين أبويك و اهلك يا نفيسة ! … اه ! لستأدري كيف أشرح لك ما اشعر به يا أماه ! »(1).

فالكاتب هنا يبين لنا المحبة التي تكنها الأم لإبنتها الوحيدة نفيسة من خلال التصرفات و الأعمال التي قدمتها لها، البنت نائمة و أمها احضرت لها الفطور، هذا سلوك نابع من المحبة اتجاه البنت، إحساسها بالحزن و البكاء لما رأت ابنتها تبكي في الفراش، فضمتها إلى صدرها و سالتها بكلمة يا عزيزتي فهذه كلمة جامعة بمعاني الحب، محاولة الاستفسار عما تحس به إبنتها علها تستطيع مساعدتها، كذلك الدعاء لها « الله يسترك » إنها تعبيرات كثيرة توحي بمحبة الأم لإبنتها، و بعد ذلك نصحتها بنصيحة لا يقدمها إلا الأحباء لأحبائهم و هي الصلاة قائلة لها:« قومي … و اغسلي وجهك و اطردي عنك هذه الوساوس يا بنيتي …لو كنت تصلين يا نفيسة لما شعرت بهذا الضيق »(2)، فمناداتها يا بنيتي تثير في نفس البنت إحساس و شعور قوي تتولد عنه المحبة المستمرة، هدأت الأم إبنتها و قالت لها: القهوة فوق المنضدة. انني وضعت بها السكر. ثم انصرفت الى شؤونها، فالمحبة التي تكنها الام لابنتها جعلتها تقوم بأعمال إتجاهها و تحافظ على العلاقة التي بينهما و إستمرارها، لان المحبة أساس تماسك النفوس و المجتمعات، و تصفية القلوب، فلا يمكن مثلا تصور مجتمع أو عائلة خالية من هذه الخصلة الحميدة، و الحب بين مختلف الفئات الاجتماعية. أما الذي في الرواية فهو بين الاباء و الابناء و الذي وقع في القلب بطريقة حتمية دون مقدمات فعاطفة الامومة قوية تتغلب على أي عاطفة، فهذه العاطفة جعلت الأم تحس بما تحسه ابنتها و تشاركها في الحزن الذي تحسه داخلها، فالأم هي الشخص الوحيد الذي تحس بما يحسه الأبناء، فهي لم تتحتل ان ترى إبنتها مهمومة حوينة أمام عينيها، و إعادة الابتسامة إلى شفتيها و هذا ما يحبه الاباء للابناء عادة، لان خصلة المحبة مطلوبة بين الافراد و المجتمعات فلا إيمان من دون محبة.

---

(1) - عبد الحميد بن هدوقة: ريح الجنوب، ط3 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر 1976م، ص11.

(2) - المرجع نفسه، ص12

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:« لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا و لا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيئا اذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم » رواه مسلم و الترمدي، أبو داود، إبن ماجة، أحمد.

ففي الرواية محبة الأم لنفيسة حب صافي نقي خالي من النفاق و التفريق و سوء النوايا.

و كما تكون المحبة بين الأباء و الأبناء كذلك تكون المحبة بين أفراد المجتمع الواحد،و هذا ما نجده في هذا المشهد من الرواية الذي يتجسد في حسن الضيافة و الإستقبال الذي قامت به نفيسة إتجاه جارتهم العجوز رحمة صانعة الفخار ففي « إحدى الأيام بينما نفيسة تسمع لألحان الناي التي كان يصدرها الراعي رابح، إقتحم أدنيها صوت ينادي من بعيد على أخيها عبد القادر، فقامت مسرعة إلى النافذة تنظر من المنادي، رأت من بعيد العجوز رحمة مقبلة في تعثر تحمل فوق ظهرها قفة من حلفاء يشدها إلى صدرها حبل، فسرت لمقدمها و نادتها من النافذة: تعالي يا خالة،تعالي،و خرجت من حجرتها مسرعة لملاقاتها عند الباب الخارجي، و بالمراح إلتقت بامها فسألتها هذه بإستنكار، من هذاه المنادية مع الصباح ؟ فاجابتها بسرور:خالتي رحمة! خالتي رحمة!.

فالكاتب هنا يبين لنا ان ذهاب نفيسة مسرعة لإستقبال العجوز رحمة إشارة إلى حب نفيسة للعجوز، و انتظرتها أمام الباب فهذا من حسن الاستقبال و اللباقة، و لما وصلت إلى الباب أخدت نفيسة تمازحها بعبارات نابعة من الحب الذي تكنه لها فلما قالت العجوز لست أدري أرجلاي هما اللتان تحملان جسمي، أم جسمي هو الذي يحمل رجلي !

فأجابتها نفيسة بإبتسامة: إنك تزعمين الكبر و أنت لا تزالين صغيرة، لم تتغيري أبدا فمنذ عرفتك و أنت هكذا، فمزاح نفيسة مع العجوز رحمة بكلام لبق و طريقة مهذبة و ذلك للرفع من معنويات العجوز، فردت العجوز مؤكدة في هدوء حزين:إنه يا إبنتي ! المثل يقول: ما يدري بالمزود غير اللي ضرب به و الا أنضرب به ... يوم ان كنت صحيحة حقا كنت لا أخاف الشوك و لا أحدره، أما اليوم فالعشب اليابس يؤلم قدمي فضلا عن الشوك ! كيف انت ؟ كيف صحتك يا بنيتي ؟ كيف تجدين نفسك في دشرتنا هذه ؟ فلما وصلت إلى نفيسة إحتضنتها و راحت تقبلها قبلات مليئة بما تكنه لها من ود و كانت تحبها فهي تجد فيها أكثر من فضيلة ، ثم إن حكاياتها و ما ترويه من أمثال

و طرف و صفاء روحها و قناعتها، كل ذلك يجعل نفيسة تحبها، و يجعل من يعرفها يحبها و يبجلها، و دخلت و حاولت نفيسة ان تحمل عنها القفة فامتنعت قائلة لا يعنيك، ليست ثقيلة فيها بعض الاواني فقط »[1].

فالاحترام الذي ابدته نفيسة للعجوز رحمة و استقبالها بالقبلات المليئة بالحب و الحنان و التحاور بلباقة يعني ان المحبة كانت بين الجيران في تلك القرية، و هذا من خلال النموذج الذي بين ايدينا، فعائلة ابن القاضي من خلال الرواية عائلة محبة لجميع الجيران وخاصة بصورة واضحة اتجاه العجوز رحمة و هذه العائلة مراة عاكسة لما هو في القرية و ما بين افرادها من قيم، فنفيسة نتيجة الحب الذي تكنه للعجوز احسنت استقبالها قولا و فعلا و ادخلتها للدار ثم حاولت ان تساعدها في وضع القفة على الارض انه سلوك انساني نبيل بين الجيران، فالمحبة كما تبين سلوكات ظاهرية و بصورة مختلفة تتجسد بالقول او العمل و كلاهما يتجسد في هذا المشهد، فالعجوز رحمة بالنسبة لسكان القرية بمثابة الام فهي خلت بصمات خالدة في كل بيت من بيوت القرية، نتيجة الحرفة التي تقوم بها. فاكتسبت بها محبة الجيران لها فهي كانت حنونة بشوشة لا يستطيع احد ان يكرهها، و لهذا فسكان القرية كلهم يحبونها و خاصة عائلة ابن القاضي، فاحسان نفيسة للجارة سلوك انساني لقوله تعالى« و أنفقوا في سبيل الله و لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة و أحسنوا إن الله يحب المحسنين » البقرة195 .

ففي الرواية من خلال زيارة الجيران لبعضهم البعض و حسن الاستقبال و الحديث باحترام هذا دليل على الحب و الإخلاص لبعضهم، فالحب عاطفة إنسانية، و حاجة نفسية أساسية لا يستطيع الإنسان العيش بدونها، و هو ضرورة اجتماعية، لان الإنسان لا يجد المتعة و الراحة و لا يشعر بالطمأنينة و الأمن إلا في صحبة الناس، و التعامل معهم و الاخد منهم و العطاء لهم، كما بينت الأم حبها للعجوز بتحضير القهوة لها، و هي الشراب المفضل لها فهي عزيزة عند سكان البادية أما في المدينة فهي متوفرة،فكل هذه السلوكات و الأقوال توحي بالمحبة بين الأفراد و الجماعات في تلك القرية، فهي ضرورية لتماسك المجتمعات، و محاربة الكراهية و العداوة و البغضاء و الغل و

---

(1)- عبد الحميد بن هدوقة: المرجع السابق، ص15

الحسد، و النميمة، فمن تمكن من غرس المحبة في قلبه اتجاه الآخرين فقد حاز على مفتاح القيم الإنسانية الأخرى كما أن النحو مفتاح العلوم كلها، فالمحبة مفتاح القيم، ففي الرواية مثلا حسن استقبال نفيسة للعجوز و الحديث معها بلباقة و احترام نابع من المحبة فلو كانت تكرهها لما فعلت معها هكذا.

فالحب أساس وجود البشرية و به يستطيع الإنسان التغلب على مصاعب الحياة و هو سبيل الابتعاد عن الأنانية و قسوة القلوب و هذا ما لحظناه في الرواية.

و كل القيم التي استخرجناها من الرواية كالتعاون، و التواضع ... الخ نابعة من المحبة بين افراد القرية فلو لم يكونوا متحابين لما قاموا بها.

2- الوفاء:

من القيم الإنسانية أيضا الموجودة في رواية ريح الجنوب الوفاء.

الذي هو من أكرم الأخلاق و أجمل الخصال، و حميد الخلال، فهو لا يصدر إلا من النفوس الشريفة، و الوفاء يعين به القيام بالواجبات اتجاه الأحياء و الأموات، كما الحال في القيام بما اوجب الله تعالى من الفرائض و الأحكام و الأخلاق و الآداب و قد يعني أيضا رد الجميل كما هو في بر الوالدين، او الإحسان إلى من أحسن إليك من الناس، و هذه النماذج من الوفاء كلها موجودة في الرواية و بصورة مباشرة كالتعاون، عيادة المريض، مساعدة المحتاج و نصح الضال ... الخ فالصورة الأولى في هذه الرواية للوفاء من خلال السلوك النبيل الذي قام به الراعي رابح اتجاه العجوز رحمة جراء الحادثة « لما أنهى حديثه مع القهواجي راح بعينيه فرأى العجوز رحمة عائدة من المحفر، سالكة الطريق الذي تسلكه دائما فتابع مشيها الوئيد حتى اختفت عن عينيه، و كانت عندئذ قد وصلت إلى نقطة اخدت الطريق فيها تنحدر، و أحست باشتداد ثقل التراب على ظهرها، و خيل إليها نصفها الأعلى يسبق نصفها الأسفل، و اشتد ثقل التراب و لم يبق لها قوة على تحريك رجليها، و تمتمت بحزن قائلة في نفسها كبرت ...كبرت و اخشي ان أموت قبل صنع الأواني، و استجمعت قواها و حاولت المضي رويدا، و لكنها كانت في كل خطوة تشعر ان التراب الذي تحمله على ظهرها لصنع الأواني الفخارية يزيد ثقله باستمرار، و أرسلت آهة حزينة ناحبة، و لسانها يتحرك بكلمات متقطعة.

كنت اقطع هذه الطريق جريا، و ها أنا أنادي الآن ... لكني كبرت، ماذا افعل ؟. و خطت خطوة أخرى و ازداد ثقل التراب بازدياد الانحدار الطريق و سرت في ركبتها رعشة شديدة، و تمتمت مرة أخرى في حيرة:

« ماذا افعل الآن ؟ لن استطيع المضي هكذا ! ... »

كانت قفة التراب التي تحملها على ظهرها مشدودة بحبل وثيق و كانت قد وصلت الى نقطة ملتوية اقل حركة تفقدها ما بقي لها من توازن، و حاولت ان تحل الحبل و تضع قفة التراب على الأرض لتستريح قليلا، و لكنها ما ان تحركت لتحل اول عقدة ختى تدحرجت بقفتها الى منتهى الحدر، تدحرجا مؤلما ! لم تصرخ و لم تستغث فقد كان الحبل ملتويا على عنقها، لم تتالم و لم ترسل زفرة، فما ان سقطت حتى اسر عبها الانحدار و قفة التراب الى اسفل، لكنها بالرغم من شدة الم الطيحة لم تغب عن ذهنها اواني الفخار الجديدة التي تعتزم صنعها، راتها صورة في الحلم او

رؤيا نفسية عابرة، رأتها منطلقة من الفرن كباقات حمراء من لهب، صاعدة إلى أعلى ... إلى أعلى باستمرار، في سرعة تفوق كل التقديرات !.

و كان رابح ما يزال واقفا أمام الصفاة حائرا داهلا، أما صانع القفاف فكان من جهته منهمكا في صناعته و أفكاره، و تذكر رابح العجوز و عيناه تجولان فيما امتد أمامه من ربى و هضاب و مرتفعات فتساءل في نفسه: مالها أبطات ؟ لعلها لم تستطع صعود العقبة، فتوقفت تستريح، قال هذا و كان يشعر بقلق غامض لا يتصور كل دواعيه، و كان النهار ما يزال في أوله و لكن الحر كان خانقا، و أشعة الشمس شهباء حادة، تنفذ حرارتها إلى أعمق أعماق النفس، و تحرك من مكانه تقوده رجلاه لا إلى غاية، كان حائرا أين يذهب، هل يعود إلى البيت أم يذهب إلى الوادي حيث ظل البساتين ؟ و خطا خطوات وئيدة متعثرة إلى مكان مرتفع يشرف على معظم الجهات المنخفضة،و ا ذ به يشاهد بعيدا في مكان يشبه الخندق العجوز رحمة مرتمية على الأرض فخفق قلبه و بدون ان يفكر انحدر كالسهم، صعق من المشهد المريع ! كان رأس العجوز في القفة، و نصف جسمها عاريا و الحبل مشدود على ذراعيها و عنقها، و ظن بادئ الأمر أنها قد قضت نحبها، و لكن حينما قطع الحبل بموسه كان معه لاحظ ارتعاش صدرها قليل، و خفقان شفتها السفلى، ففرح انعم تفارقها الحياة و ناداها: عمتي رحمة ! عمتي رحمة !.

لم تجبه العجوز بكلمة. ففكر و قد رفع رأسه ينظر إلى المكان الذي تدحرجت منه، لا شك انها تدحرجت من هناك، مسكينة ! يحب أن احملها إلى بيتها، لحسن حظها ان الجهة التي تدحرجت فيها لا حجر بها و إلا للاقت حتفها، وضع العجوز على ظهره و هي في حالة إغماء، و رفع القفة الفارغة، و كانت العجوز خفيفة كالقفص الفارغ، و مرت بذهنه و هو ماش ذكريات بعض ايام الشتاء عندما تموت له شاة فيحملها على ظهره عائدا بها إلى دار ابن القاضي فازداد سخطه و عزمه على ترك مهنة الراعي، لن اسرح بعد اليوم بغنم احد و شعر و هو طالع العقبة ان حياته ثقيلة خانقة جافة كالشاة الميتة، أو كهذه الحرارة التي بجسمها تنفذ إلى أعماق نفسه، و إلى داخل عظامه ... دفع الباب الأسود الغليظ برجله فانفرجت أمامه قاعة بيت، زواياه مظلمة، و انبثت فوقها أواني فخارية ... دخل و وضع العجوز فوق حصير من حلفاء كان مطروحا في مكان مقابل للباب ثم أخذ غطاء خشنا من صوف راه معلقا في وتد بالحائط فطرح نصفه فوق الحصير، و ثنى نصفه الأخر في شكل وسادة، و وضع العجوز فوقه، و نظر الى وجهها فوجده يتصبب عرقا، و عينيها

مسبلتين و أنفاسها ترتفع و تنخفض في صدرها، عميقة طويلة كالمستغرق في نوم هادئ و فكر رابح أن العجوز لم يصب أي عضو من أعضائها بكسر، و إلا لما ترك ألمه إغماءها يطول، و خشي أن يكون هذا الإغماء بسبب إصابة في رأسها، و التفت يمينا و شمالا كأنه يفتش عن شيء أو يبحث عن مساعد، و لكن البيت لم يكن ب هالا الفخار، ثم ارجع بصره الى العجوز فلاحظ ان وجهها قد اخدت تعلوه حمرة خفيفة، و ان العرق بدا يجف منه فناداها: عمتي رحمة، عمتي رحمة! فأجابت العجوز بصوت متقطع و قد اخدت جفونها ترتفع قليلا: نعم ! عمتي رحمة لا باس ؟ أين أنا ؟ انك بدارك عمتي رحمة ! لا باس ؟ و مدت يدها كأنها تبحث عن شيء، فمسكها رابحو نادى: عمتي رحمة ! لا باس ؟ لا باس، أحس بالتهاب في خلقي و صدري، ففكر رابح أن التواء الحبل عليها هو الذي سبب لها هذا الالتهاب و ناداها: عمتي رحمة ! ألا تحبين أن أناولك ماءا ؟ نعم، نعم ... أود أن اشرب ماء باردا.

اخد آنية من طين و خرج إلى المراح (فناء الدار) حيث قربة الماء معلقة في مكان ظليل، و إذا به و هو يحل شريط الحلفاء المربوط به فم القربة لاحظ نقطتين لامعتين لمعانا مخضرا تحت حجر كبير أسفل قربة الماء، فأحس برعشة تسري في عموده الفقري و مفاصله و قال: ثعبان ! ثعبان ! يتبرد هنا أو ضفدعة ! يجب ان اسرع فاناول العجوز الماء ثم اعود اليه، وضع دراعه اليسرى تحت كتفي العجوز فرفعها قليلا و ناولها الماء بينماه، كانت جرعات الماء تنزل في صدر العجوز الى بطنها مصوتة مسموعة، ففكر رابح مسكينة، لم تتناول طعاما ! الجوع هو الذي سبب لها الاغماء لا السقوط و سالها قائلا: كيف تحسين نفسك الان ؟

الحمد لله ! رابح. انت رابح ؟ نعم.

لن انسى لك هذا ابدا. لا تفكري في هذا يا عمة، قولي، الست جائعة، لا لست جائعة يا ولدي، الا تريدين شيئا ؟ .

لا شيء اريد الان يا ولدي. انني لا باس علي

انني رايت ثعبانا تحت حجر قريب من قربة الماء، ساذهب لاقتله و اعود.

هو ثعبان ! رايته مرات هناك، و لم استطع قتله، خد العصا يا رابح !

و كان ذكر الثعبان اعاد اليها من نشاط و حيوية، و اردفت قائلة: اضربه على نصفه و الا فلا تتمكن منه ... فقتله و عاد الى العجوز فوجدها جالسة و قد زال عنها تماما الاغماء و عادت اليها الحياة ... التي كادت تفارقها لابسط سبب »(1).

من خلال الاعمال التي قام بها الراعي رابح اتجاه العجوز رحمة جراء الحادثة حيث ذهب مسرعا عند سقوطها و اخدها الى البيت و قام بكل الواجبات اتجاهها حتى استعادت صحتها و فاقت من غيبوبتها و بعدها خلصها من الثعبان الذي كان خطرا عليها، انه سلوك نبيل بدله رابح و ذلك تعبيرا عن الوفاء لها، فكما كان يحبها و هي في صحة جيدة وفى بحبه لها يوم مرضت و احتاجت لمساعدته، فهو انسان وفي، و الوفاء خصلة حميدة و مهمة في تماسك المجتمعات و ضمان استمراريتها، فسكان القرية التي تدور احداث الرواية حولها دائما اوفياء لبعضهم و في هذا النموذج مثال حي على ذلك.

فجيران العجوز رحمة دائموا الوفاء لها كما كانوا يحبونها لما كانت صحتها جيدة، كذلك اعتنوا بها لما مرضت و من صور الوفاء ايضا في الرواية و هي كذلك اتجاه العجوز، فلما غادر رابح بيتها، بعد الاطمئنان عليها « ذهب عبد القادر اخو نفيسة الى عندها و وجدها مريضة فعاد مسرعا الى بيتهم و اخبر امه انها مريضة، فاعادت خيرة امه السؤال بدهشة و ذعر وجدتها مريضة في الفراش؟ اجاب عبد القادر في تاكيد: مريضة مرضا كبيرا، هي وحدها مسكينة لا تجد حتى من يناولها شربة ماء، تألمت خيرة مما حكاه ابنها عن العجوز رحمة و قالت: انقطاعها عنا هذه الأيام لم يكن اذن الا مرضها ! مسكينة، و استأنفت تسال ابنها، هل أوصتك بشيء، هل تستطيع الأكل. قالت انها ترجو ان تبعث الى مالك من يخبره، و لكنها كانت تهدي، فهي تتكلم دقيقة، ثم ما تلبث ان تاخد في الهذيان حكى لها وضعها، فطلبت منه ان يقوم بما أوصته به العجوز و يخبر كذلك والده و قامت هي تعد ما حضر من دقيق و سمن و قديد لتاخدها معها الى المريضة »(2) و قد كانت

---

(1)- عبد الحميد بن هدوقة: المرجع السابق، ص119- 124

(2) - عبد الحميد بن هدوقة: المرجع السابق، ص136

العجوز بعد لم تستسلم للمرض و عادت لعملها من جديد لكن ذلك اتعبها حقا، فساءت حالتها الصحية و اخذت تتوهم اشياء و كان الطفل عبد القادر معها تلبية لاوامر امه، « و لما دخلت خيرة و ابنتها و جدتا العجوز ساهية و الطفل جالسا الى جانبها ... وضعت نفيسة يدها على جبين العجوز فكان يلتهب نارا، و احتارت ماذا تفعل للتخفيف عنها لم يكن في القرية أي مركز صحي ... فتحاورت نفيسة مع اخيها على الطبيب، فقال الطفل: حتى طبيب المدارس لا ياتي في الصيف.

اخرجت الام خيرة فستانا من القفة التي جاءت بها معها فالبست العجوز اياه بعد ان نزعت عنها الجبة التي كانت تلبسها و التي كانت ابتلت بالعرق ثم جاءت بانية ما فغسلت لها وجهها و اطرافها و فرشت لها في مكان اخر من القاعة اقل ظلاما، و قالت لابنتها: عاونيني. فنقلتا العجوز الى الفراش الجديد، ثم راحت تنظف البيت و ترتب اثاثه، فجمعت الاواني التي كانت مبثوثة هنا و هناك على ارض القاعة، و كانت العجوز خلال ذلك تفيق لحظة ثم تعود الى غيبوبتها.

كانت خيرة اعدت للعجوز مرقا بالدجاج فحاولت ان تطعمها قليلا و لكن هذه لم تستطع، كانت الحمى تزداد شدة كلما تقدم الوقت ... فحاولت نفيسة ان تكممها فاشارت لها امها ان تدعها احسن»(1).

فعائلة ابن القاضي كانت نعم الجيران للعجوز رحمة حيث قاموا بالواجب اتجاهها على اكمل وجه وفاءا لها، فالوفاء من صفات اهل هذه القرية، فقد زاروها و لم يكتفوا بذلك بل نظفوها و بيتها و ذلك للتهيء لاستقبال الزائرين و الزائرات، انه سلوك خيري قام به جيرانها نساءا و حتى الرجال.

« فمالك لما وقع نبا احتضار العجوز عليه وقعا مؤلما، قال في نفسه بمرارة: عرفت ان هذا اليوم لم يعد بعيدا ... لما بلغه الخبر اخذ مالك سيارة البلدية و انطلق الى القرية ... و لما وصل الى باب الدار الخارجي سمع حديثا في بيت العجوز ففهم انها ليست وحدها، فدق الباب و اذا بالطفل عبد القادر يستأذن بالدخول »(2)، فصورة الوفاء هنا هو رد الجميل لمن احسن اليك

---

(1)- عبد الحميد بن هدوقة: المرجع السابق، ص137

(2)- المرجع نفسه، ص144

فمالك هنا رد الجميل اتجاه العجوز لانها قد احسنت اليه في يوم كان مجروح في فترة الثورة، فهو وفي للعجوز في جميع الحالات، فلم ينس الجميل الذي قامت به اتجاهه، و رده لها يوم احتاجت اليه و كانه ولدها، فجيران العجوز دائما في حسن الظن بهم متخلقين بالاخلاق الرفيعة و خاصة انهم ابناء قرية ريفية و كما يقال فالاخلاق ولدت في الريف.

فكما يكون الوفاء اتجاه الاحياء كذلك يكون اتجاه الاموات، بالقيام بمختلف الواجبات التي تشمل صور الوفاء الكثيرة منها المداومة على الدعاء لهم بالرحمة و المغفرة و الصدقة عليهم و السير في جنازاتهم و تجهيز القبر ... الخ.

فالوفاء للاموات في الرواية نجدها في الاحتفال باحياء ذكرى وفاة الشهداء « حيث اجتمع الناس كلهم محتفلين بهذا اليوم العظيم تمجيدا و وفاءا للشهداء مترحمين على ارواحهم، داعين الله عز و جل باسكانهم فسيح جنانه، فالاحتفال بهذه المناسبة اثار في نفوس السكان فرحا و سرورا و ذلك لانهم احسنوا بالوفاء اتجاه ذوي الارواح الطاهرة الزكية التي ماتت في سبيل عيش الاخرين احلى حياة من نعيم و حرية، حيث قال احد السكان لابن القاضي ذلك الاقطاعي مخاطبا اياه: و أي مناسبة اغلى من مناسبة الاحتفال بالشهداء، ان الثمن يهون امام من ضحوا، انها فرصة العمر يا اخي لتذبح اليوم اليس للذبح خلقت »(1).

فكل سكان القرية استعدوا لهذا اليوم حتى ابن القاضي الذي لا تهمه الا مصالحه فقد اهتم به و استعد له بالذبح و استقبال الضيوف الحاضرين و القادمين للقرية لحضور التدشين و الترحم و تمجيد الشهداء و الدعوة لهم كذلك من صور الوفاء للاموات زيارة القبور و الترحم عليهم. فسكان القرية كانوا يوم الجمعة يقومون بواجبهم اتجاه موتاهم، منهم العجوز رحمة، و الام خيرة وكذلك نفيسة في بعض الاحيان تشاركهم بالزيارة، كانت العجوز رحمة تاتي لبيت خيرة و تذهبا الى المقبرة، و هذا ما نلمسه في هذا المقطع من الرواية « ففي احد الايام جاءت العجوز كعادتها الى الدار لتنادي على خيرة، فوجدت نفيسة قد عادت من العاصمة فاستقبلتها بتواضع و حسن الاستقبال، فحضرت لها الام القهوة، لأن نفيسة لم تكن تحسن تحضيرها و هي أحسن ما يقدم

---

(1)- عبد الحميد بن هدوقة: المرجع السابق، ص55

للضيف في تلك الفترة، و لما أتمت العجوز شرب القهوة سالتها نفيسة أنذهب يا خالة إلى المقبرة، نعم و لذلك جئت

إن اليوم جمعة لا بد من زيارة موتانا، فذهبت إلى المقبرة و قد إخذت معها العجوز رحمة بعض أنواع الطعام قصد التصدق به على روح زوجها رحمه الله و قد أخذت معهما نفيسة، و لما وضعت العجوز مجموعة من الأواني الفخارية فوق القبر مملوءة بالماء لكي يشرب منها الطيور و تعتبر صدقة على زوجها »(1).

فزيارة القبور و التصدق على الأموات وجه من أوجه الوفاء لهم. و هذا كما فعلت العجوز رحمة فهذا سلوك نبيل نابع من الوفاء لزوجها فهي لم تكن تكتفي بالزيارة فقط بل حتى بالصدقة لمساعدته و هو في قبره لانها تعتبر مساعدة لهم وأن كانوا هم في عالم آخر.

فقيمة الوفاء طاغية في الرواية لأنها تشمل تقريبا كل القيم الإنسانية في القيام بمختلف الواجبات إتجاه الآخرين، و هكذا السكان القرية كانوا أوفياء لبعضهم أحياء أو أموات،فكما كانت العجوز رحمة صانعة الفخار وفية لزوجها في حياته و بعد وفاته وجدت من هم أوفى منها و لها فالمثل يقول « كما تدين تدان، و كما تكرم تكرم » فلما ماتت العجوز تروع السكان كلهم لسماع الخبر بوفاتها و التي قامت بأعمال عظيمة ابقتها في ذاكرتهم رغما عنهم،فقد تركت لهم بصمات خالدة في بيوتهم ماداموا على قيد الحياة، فعند وفاة شخص ما يقومون الاحياء من بعده باعمال كثيرة من أجله وفاءا له، فقد تقاسم السكان الأعمال الخاصة بالجنازة و الفدوة قياما بالواجب اتجاهها.

فابن القاضي « بمجرد أن علم بالوفاة بادر بإصدار التعليمات الأولى إلى القهواجي ليبلغها إلى الناس و قال:

قل لرابح و الطلحاوي أن يقوما بتحضير القبر، أما السعيد ابن العربي فليتوجه إلى القرية المركزية لشراء الكفن و أخبار من هناك من أهل قريتنا بالوفاة، و أنت أخبر الناس ان الدفن يكون بعد صلاة الظهر.

---

(1)- عبد الحميد بن هدوقة: المرجع السابق، ص239

أما أنا و سي مالك فنذهب إلى الدار لإعداد التجهيزات الضرورية،

كن مطمئنا، كل شيء سيتم على مايرام.

و أضاف مالك مخاطبا القهواجي:

ليبلغ المرسل من بالبلدية و كذلك سي الطاهر المعلم و مسؤول القسمة بوفاة العجوز. فأجابه القهواجي:

كونوا هانئين، إذا لم يات الى المقهى سأرسل من يخبره في داره لتنفيد المهمة، أعدا أموركما بالبيت، أما مسالة القبر و الكفن و إخبار الناس فأنا أتولاها.

و انصرف الرجلان بعد ان تناول عابد قهوته، للقيام بمهامها.

وكان مالك قد قرر أن يقوم بكل نفقات تشييع جنازة العجوز

بالرغم من أن إطعام سكان القرية بكاملها غداء و عشاء و ما يستلزم ذلك ليس هينا و كان يود على أية حال أن لا يضطر إلى مساعدة عابد ابن القاضي »(1).

فقيام سكان القرية بهذه الاعمال الخيرة إتجاه الفقيدة رحمها الله وفاءا لها لأن هذا كله حق الميت على الأحياء.

فعن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :« المسلم على المسلم من المعروف ست: يسلم عليه اذا لقيه، و يجيب إذا دعاه، و يشمته إذا عطس، و يعوده إذا مرض، و يتبع جنازته إذا مات، و يحب له ما يحب لنفسه » رواه الترمدي و احمد.

جيران العجوز رحمها الله أوفياء لها رجالا و نساءا أو أطفالا فالرجال أقتسموا الأعمال الخاصة بهم، و كذلك نساء القرية قمن بالاعمال المنزلية في بيتها « لم تمر الساعات الاولى من صباح ذلك اليوم حتى امتلات الدار و فناؤها بالنساء و العجائز و الأطفال، و هي أول مرة عرفت دار العجوز هذا العدد من الزوار ... كانت عندما تقع مناسبة تراهن في أزيائهن الطافحة و في أغانيهن و رقصهن ... أما اليوم فلا زينة و لا تجميل و لا أغاني صاخبة، إنما هن يتحدثن عن

---

(1)- عبد الحميد بن هدوقة: المرجع السابق، ص166- 167

حياتهن و حياة العجوز بكل عبارات الثناء و الإمتنان لها، تقوم هذه بتنظيف الأثاث و الأواني و الأخرى بالتنظيف و تلك بفتل الطعام ... و هن يلبسن أثوابهن العادية القديمة ... و المرأة الاشد إعجابا هي تلك المراة التي تجاوزت الأربعين ... فمند أن دخلت الدار و هي قائمة، و لم تركن إلى الجلوس لحظة، و لم تنقطع عن العمل ثانية »(1).

كل هذه الأعمال واجبات عليهم اتجاه جارتهم فقد قاموا بها الخاطر لأنهم كانوا يحبونها، فوفو بحبهم لها حتى بعد وفاتها، فالنسوة تخلين على كل وسائل التجميل وفاء لها و قمن بشؤون البيت على أكمل وجه و قد أخدت كل واحدة معها ما يستطيع أخده من طعام، و سمن، و أواني و أفرشة وكن يتحدثن عنها بكلمات فيها نوع من الإمتنان و المحبة لها، فابن القاضي لما توفيت قال عنها « ان الفقيدة رحمها الله كانت لنا جميعا أما، و واجبنا نحوها ان لا نجعل من مناسبة وفاتها سبب لإشاعة الحزن و الألم، لكن لبعث السرور و الرضى بما قدر، كانت دائما تحب رحمها الله ان تكون دائما سببا في بعث السرور و الأمل »(2).

فابن القاضي كما كان يحبها و يحترمها في حياتها ظل وفيا لها و هي متوفية حيث « اراد ان يذبح من غنمه و يستعمل أدوات بيته و ذخيرته من زيت و دقيق في مكان مرتفع، تجنبا لنقل الادوات و الاثاث الى هناك لان بيت العجوز في مكان مرتفع، فمن الاحسن ان نديرها في بيتي، كذلك الغنم في المراح وهذا وفاء للعجوز المرحومة، الا ان مالك رئيس البلدية رفض من ابن القاضي ما اقترحه و قام بدله بكل التجهيزات و الخدمات الخاصية بالفدوة في دار العجوز طالبا من ابن القاضي ان لا يحرمه من المعروف الذي سيبدله اتجاه العجوز لان اقل ما يمكن اتجاه امراة هي اخر ما تربطه بها صلة في هذه القرية »(3).

فكل سكان القرية تميزوا بروح الشهامة رغم ما يحيون فيه من بؤس و خصاصة الا انهم قاموا بمختلف الاعمال الانسانية اتجاه بعضهم و اتجاه موتاهم فحتى من لا يملك شيء يقدمه لجا للحطب لانه لا يتطلب المال بل الجهد فقط « فراح راعي الغنم سابقا، و تحولت مهنته الى جمع الحطب

---

(1)- عبد الحميد بن هدوقة: المصدر السابق، ص65

(2)- المصدر السابق، ص169

(3)- المصدر السابق، ص972

كان يحضره للقهواجي. اما ذلك اليوم قرر ان يساهم به في متطلبات الفدوة »(1). فهذا اقل ما يمكن ان يقوم به إتجاه أمراة كانت وفية لسكان القرية كلهم، و هكذا كانت الملمات بين اهل القرية و أحس كل فرد منهم ان موت العجوز يعنيه قبل غيره، فتعاونوا ماديا و معنويا، أنهم يتحلون بقيم إنسانية رفيعة فاي ما يلحق باحد يحسون به كلهم فرحا او قرحا فهم أوفياء لبعضهم و بذلك ضمنوا لإستمرار العلاقات الأخوية بينهم.

---

(1) عبد الحميد بن هدوقة : المرجع السابق. ص65

3- الإحسان:

الإحسان اسم جامع لكل أعمال الإيمان، و لكل أعمال الخير، و هو أيضا إصلاح العلاقة بين الإنسان و أسرته، و ذوي القرى بوصله لهم بالمساندة المادية و المعنوية، حسن التعامل مع الناس و له مجالات عدة منها الإحسان الى من أحسن إليك، او لمن أساء إليه، و هذا ما نريد دراسته في روايتنا هذه، فالإحسان نلمسه فيها في مختلف طياتها لانه يشمل مختلف الافعال و الاقوال الانسانية الخيرية و الإحسان كما قلنا يكون اتجاه من إحسن إليك او العكس و هذا الأخير لا يصدر إلا من اشخاص ذوي قلوب حنونة واسعة مثل الراعي رابح الذي غير مهنته فيما بعد إلى حمع الحطب، كما ذكرناه في مبحث الوفاء، نجده في هذا المبحث عندما كان راعيا لغنم إبن القاضي تعرض لإهانة شديدة من قبل ابنة ابن القاضي نفيسة إلا انه كان ظالما فقد إحسن إليها و عاملها بلين و لطف ناسيا ما قد تلقاه و سمعه في تلك الليلة التي أراد ان يغتصبها، فقد تلقى لسعات لسانية بكلام جريح جعله يحتقر نفسه و غير مهنته، و ذلك لما قالت له ايها الراعي القذر،إلا انه أحسن إليها في ذلك اليوم الذي تعرضت فيه للسع ثعبان و هي قاصدة محطة القطار هروبا من بيت والدها « بينما هي تسير في الغابة وصلت إلى مكان ظليل تغطيه اشجار الصنوبر، خاليا من كل حياة حيوانية قررت ان تستريح فيه ثم واصلت سيرها بين لسعات الشوك و لفحات الحر ... و المؤسف في أمرها انها في اتجاه مخالف للمحطة و ذلك لتغلغلها في الغابة ... حتى وصلت الى إنخفاض كثير الأغصان التي تضطرها في بعض الأحيان الى المشي منحنية اذا بثعبان ينسل من حلفة تخطتها، فتصرخ و تقفز الى أبعد ما تستطيع ... بعد تقرر مواصلة السير مهما كان الثمن ... لما شمرت عن ساقها رأت قطرة دم سوداء بمكان النهشة، و رأت ساقها و قد إخد إحمرارها يتحول إلى سواد فأدركت مقدار الخطر الذي يهدد حياتها ... و لسوء حظها لم ترى احد في الغابة لاسعافها، و بعدها أغمي عليها من شدة الالم، و كان رابح راعي الغنم السابق قد ذهب يحتطب كعادته في معظم الأيام و لاسيما يوم الجمعة، اليوم الذي لا يتجول فيه حارس الغابة ... و لما إنتهى من الاحتطاب، عباه على اتانة و تحرك قاصدا بيته فارحا بعمله الجديد فقد صار أكثر حرية و أكثر مسؤولية في نفس الوقت ... و كان بين الحين و الآخر يلتفت وراءه و ينظر إلى اليمين أو الشمال مخافة أن يكون حارس الغابة مختفيا ... و في إحدى التفاتاته رأى بعيدا أسفله رجلا مرتميا على الأرض فأستغرب

الأمر ... فتوجه ناحية الرجل و لما وصل اندهش لما يرى ! أن الرجل المرمي على الارض إمرأة متنكرة، بين الحياة و الموت ! فاقترب منها و قلبها على ظهرها ليتمكن من معرفتها و معرفة ما بها فاذا هي نفيسة ... الفتاة التي قالت له ذات يوم ايها الراعي القذر ... انها لذغة، و صار ساقها أسود و أسود جسمها و وجهها.

أخد يفكر في الإنتقام لكن طبيعة شخصيته منعته من ذلك و خصوصا انه يعرف كيف يعالج الملدوغ، فأخرج بسرعة موساه فشق مكان اللذغ شقا خفيفا فسال منه الدم المسموم أسود كالقطران و وضع فمه على الجرح و أخد يمتص الدم و يبصق فترة من الوقت، ثم فتح المنديل المشدود به ساق الفتاة و استانف امتصاص الدم، ثم ربط من جديد ساق الفتاة و هي دائما في حالة اغماء و راح يبحث عن عشب يعرفه يستعمل لهذا الغرض، و هو أنجع من كل دواء، و أتى بالنبات المطلوب فلاكه و وضعه على الجرح ثم قطع من اللحفة التي يشد بهار اسه قطعة فربطه بها، و أتى بشنة الماء التي كانت معلقة على ظهر الحمارة فنضخ وجه الفتاة و اذا بها تفتح عينيها فيفرح لذلك، أما هي فتبقى لحظات شبه نائمة ثم يعود اليها وعيها و مع الوعي الألم، و لكنها مع ذلك سرت بهذه النجاة الخارقة للعادة، و وجود هذا الملك المنقذ إلى جانبها في أمر لحظة في حياتها و سالته في لهجة لا تخفي نبراتها ما تعانيه من الم، فسالته، الست رابح راعي الغنم ؟.

فاجاب في حياء و تردد: انا ... رابح، و لكن لست راعيا الآن.

فقالت نفيسة و قد عادت بها الذكرى الى الليلة المقمرة، قالت في خجل و تعب بين: عفوا لا أعرف إسمك العائلي، أليس معك ماء ؟ ان حلقي جف من العطش، فناولها رابح الثنة و ساعدها على الشرب، و كان جسمها يتلهب بالحمى »(1).

فبالرغم من ما تلقاه من نفيسة حيث تسبب له جرحا عميقا في قلبه إلا انه كان محافظا على العلاقة التي كانت بينه و بين عائلتها، فقام بهذه الأعمال الشاقة إتجاهها حتى خلصها من الموت التي كانت تصارعه قبل قليل، فهو قضى حياته في رعي الغنم فهذا الجو طبعه على مساعدة

---

(1) - عبد الحميد بن هدوقة: المصدر السابق،ص241 - 245

الضعيف و المحتاج، علمته طيبة النفس و السخاء و التضحية الى أبعد حد، كما علمته الصلابة و الصبر على الشدائد، و مواجهة المخاطر، و رد الجميل و الإحسان الى من أساؤوا اليه.

فرابح هنا لم يكتفي باسعافها فقط بل اخدها الى بيته تلبية لطلبها لأنها لا تريد العودة الى بيت أبيها.

فبعد الحوار الذي دار بين رابح و نفيسة و علم انها كانت مسافرة الى العاصمة لما طلب منها الرجوع قالت:« دار ابي لن اعود إليها أبدا، ثم سكتت لحظات تفكر فيما يجب فعله و قالت سائلة: هل محطة مزيتة مازالت بعيدة من هنا؟ فقال محطة مزيتة أن الطريق ليس من هذه الجهة ... انك لا تستطيعين فعل أي شيء و انت في هذه الحالة أن اللدغ ليس هين،وف تقضين عدة أيام و أنت مريضة لا تستطيعين فيها فعل أي شيء، و لذلك أرى ان تعوذي إلى أهلك أحسن، قالت ان دار أبي لن أعود اليها ... أرجوك ان توصلني الى الطريق الوطني عساني ان أجد سيارة تحملني إلى الجزائر، فقال ناصحا : لو رايتك تستطيعين ركوب السيارة لأوصلتك في الحال و لكنك لا تستطيعين أن السم صعب، و يجب أن تعالجي اياما »(1).

رابح راعي الغنم ذا القلب الحنون المسامح تتعامل مع من كانت تضنه من ألذ خصامها و أعدائها بكا رقة و طيبة، فهنا تصرف معها كاخ ناصح لها بالعودة الى بيت والدها خوفا من سمعتها بين أفراد القرية، خاصة و ان والدها يتمتع بسمعة شريفة فرابح ظل وفيا لابيها و لم يخنه و أن كان يستطيع ذلك فكرامته و رجولته و شهامته تمنعه من ذلك تصرف معها ناسيا كل ما مضى انه مسامح كريم نبيل.

و فوق كل هذا لما طلبت منه ان يأخدها إلى داره قبل طلبها بالرغم من انه يظن ان والدها لو سمع سوف يحدث مشاكل له و لامه.

قالت نفيسة:« و لكن اين ؟اين اعالج و أين أذهب ؟ ... سكتت هنيهة ثم قالت في رجاء ألا يمكن ان اذهب الى دارك، انه المكان الوحيد الذي يليق بي، فامك لا تتكلم، و هكذا أقضي عندكم اياما حتى اشفى ثم أذهب الى الجزائر ... فكر رابح في هذا الحل الذي إقترحته لان ظروفه غير مهياة

---

(1) - عبد الحميد بن هدوقة: المصدر السابق، ص247

لها و كذلك الخوف من والدها عندما يسمع، و لما أخبرها بذلك المصاعب أجابته: المهم هو انه ممكن، اما مسالة البيت و الاثاث و غيره كل ذلك لا يهمني، بقيت احاديث الناس سنفكر فيها في وقتها، فأجابها رابح: نذهب إلى بيتنا و يفعل الله ما يشاء، ثم طلبت منه ان يقيما في مكان خفي حتى الليل، لاني اخشى ان يرانا احد.

فأجاب رابح: إن بقاءنا حتى الليل هنا أخوف من الطريق، البس البرنس و غط نفسك جيدا بحيث لا يرى وجهك ولا رجلاك، و نتوكل على الله سنسلك طريقا لا نخشى فيها ملاقاة أحد نمشي الآن ما دام الحر شديدا و المتسوقون لم يعودوا، فقالت نفيسة مستحسنة رأيه: ذلك هو الصواب ... كانت حالتها سيئة للغاية، أعان رابح نفيسة على الوقوف، و لما رأى أنها لا تستطيع الركوب فوق الآثان ... حملها رابح بذراعيه و وضعها فوق ظهره ... ثم أخد البرنس و ألبسها اياه فغطى كل اجزائها و سارا ... و لما وصلا الى البيت إندهشت ام رابح لما رأته خاصة لما عرفت الفتاة، فأومأ لها رابح بأن تعد الفراش للمريضة أولا ثم يشرح لها. و قد إستقبلتها أحسن أستقبال و أعدت لها الدواء و أخدت تطمانها على حالها، و في المساء اعدت لها مرق الفول بالدجاج، كانت نفيسة طول النهار معجبة بحيوية المراة ... و بعد تناول العشاء ناولت إبنها حصيرا و أمرته ان ينام خارج البيت »(1)

فعائلة رابح قامت بالإحسان الى الفتاة قولا و عملا و هكذا بقت في بيته حتى إستعادت صحتها جيدا فكان لها كالأخ و أمه أما لم تحس و هي بينهم بالغربة و الوحشة، فهما متحليان بالصفات الحميدة التي يتمكنا بها من اكتساب محبة الجيران، فالإحسان من الخصال الحميدة المهمة في بناء المجتمعات و ضمان إستمراريتها.

و من صور الاحسان في الرواية حسن الضيافة و الإستقبال و اللباقة في الحديث مع من زاروك، « فكانت عائلة ابن القاضي دائما قدوة لهذا الخلق الحميد، فكان كلما جاءهم أحد من القرية او من خارجها استقبلوه ببشاشة و طلاقة الوجه و فرح و محبة، فكان مالك خطيب ابنة ابن القاضي الأولى زليخة التي توفيت في اللغم الذي وضعه الثوار منهم مالك في الطريق، للحافلة

---

(1)- عبد الحميد بن هدوقة: المصدر السابق، ص248-253

المحملة بالأسلحة و العتاد الحربي للعدو، و لسوء الحظ كانت الحافلة مملوءة بالمسافرين منهم زليخة خطيبته، لما دخل بيت ابن القاضي إستقبلته العائلة كلها بحسن سواء زوجته او إبنته نفيسة التي كان والدها مصمما على تزويجها بمالك، عرفتها عليه أمها خيرة فتصافحا في خشية، و كذلك حسن إستقبالهم للعجوز رحمة، و إعداد لها القهوة، فقد سمحت الفرصة بان تلتقي بمالك في بيت ابن القاضي يوم جاء لزيارتهم، حيث استقبلتها أحسن استقبال بالكلمة الطيبة و الوجه الطلق و المرح، و الضحك معهم دليل على المحبة النابعة من القلب وقد امر ابن القاضي زوجته بإعداد القهوة لهما، و بعد تحضيرها جاءت إليهم ضاحكة معهما، لقد أبطات عليكم فأجابت العجوز ضاحكة كذلك لا تخشي لسنا نتاهب للخروج، فقالت خيرة بلهجة تنمي بالغبطة و الرضا: ان سروري اليوم يفوق التقدير، و ذلك لزيارة مالك بيتنا »(1) .

فالعائلة دائما محسنة للكبير و الصغير متواضعة و هذا سلوك حضاري أخلاقي نابع من المحبة و التقدير للضيوف بالماديات أو المعنويات حسب قدرة كل فرد منهم، فسكان القرية لا ينتضرون من احد بينهم رد الجميل فكل من استطاع المساعد او تقديم شيء للآخر قدمه دون مقابل إمتثالا لقوله تعالى:« و هل جزاء الإحسان الا الإحسان » الرحمان 6

فنفيسة كانت دائما محسنة لمن حولها من سكان القرية ففي إحدى الأيام « رأت العجوز من النافذة، فنادتها تعالي يا خالة، تعالي· ثم إحتضنتها و راحت تقبلها قبلات مليئة بما تكنه لها من ود و كانت تحبها فهي تجد فيها اكثر من فضيلة، ثم ان حكاياتها و ما ترويه من امثال و طرف و صفاء روحها و قناعتها كل ذلك يجعل نفيسة تحبها، و يجعل كل من يعرفها يحبهاو يبجلها، فهي دائمة الاحسان لها و عائلتها سواء بالكلمة الطيبة او بحسن الإستقبال، و تقديم لها ما تحب من طعام و شراب، و الإفتخار بها جراء المهنة الشريفة صناعة الفخار، و كانت دائما تشكرها على هذه الحرفة و الجهد الذي تبدله من أجل إدخال السرور في نفوس أهل القرية، حيث كانت تزخر برسومات موحية و معبرة »(2).

---

(1)- عبد الحميد بن هدوقة: المصدر السابق، ص65

(2)- عبد الحميد بن هدوقة: المصدر السابق، ص66

فالإحسان بما انه خصلة حميدة، فقد اتصف به سكان هذه القرية بمختلف مستوياتهم الإجتماعية و الثقافية و اتجاه ايا كان من البشر غريب او قريب، فرابح مثلا الذي كان راعيا للغنم لم يزاول دراسته في حياته لم يفهم معنى الإحسان و التخلق به، إلا انه كان متخلقا به « فقد أحسن إلى العجوز رحمة يوم سقطت من أعلى الربوة بقفة الطين، لما التوى الحبل على عنقها الذي كانت تشد به القفة، فكادت تموت لولا هو الذي اعاد اليها الحياة بفكه الحبل من حول رقبتها، و أخذها الى بيتها حاملا أياها على ذراعيه بكل رفق و إحسان و رحمة، و لما وصل بها إلى البيت و ضعها على فراش ثم احضر لها الماء من قربة كانت في المراح، لإعادة قوتها،و لما أرادت ان يناولها الماء وضع يده اليسرى تحت كتفيها، فرفعها قليلا و ناولها الماء بيمينه و كانه ولدها، و كانت جرعات الماء تنزل في صدر العجوز و بطنها مصوتة مسموعة، ثم دفعه الإشفاق عليها بان يحدث نفسه،مسكينة لم تتناول طعاما، و بعد ان فاقت من غيبوبتها سالها عن حالها،فأجابت: انها بخير و الحمد لله، و لما إستعادت صحتها جيدا، ردت له الجميل حيث شرعت في تحضير طبق الزميتة (العصيدة)، و بعد إنتهائه من تناولها اذا كانت تحتاج لشيء أم لا، فردت شاكرة إياه أنها لا تحتاج شيء فالمهم عندها انها نجت من الموت على يديه »(1) .

فهذه صورة حية، و مرآة عاكسة عن احسان اهل القرية لبعضهم، كذلك إحسان أهل القرية كلهم للعجوز رحمة حيث مرضت جراء الحادثة السابقة الذكر فهذا مفصل في باب الوفاء.

هذا السلوك النابع من شخص بينهم دليل على أنهم يكونون لبعضهم البعض مشاعر صادقة وفية، نابعة من العقل و القلب معا، فهي دائما كالجسد الواحد، دائموا الإحساس ببعضهم، و هذا كما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه و سلم ، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:« مثل المؤمنين في توادهم و تراحمهم و تعاطفهم، مثل الجسد الواحد، اذا إشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى » رواه البخاري و مسلم و أحمد.

فالمؤمن الحقيقي هو الذي يحس بما يحس به غيره، فرحا او قرحا و يعينه اذاإحتاج إلى

---

(1) عبد الحميد بن هدوقة: ريح الجنوب, ص136

مساندته، لأن هذا من حق المسلم على المسلم، فنظرا للأثار التي تخلفها خصلة الإحسان بين الأفراد و الجماعات، و نظرا لترغيب الشريعة الإسلامية بالإتصاف بها، لهذا نجد سكان القرية التي تدور حولها أحداث الرواية يتصفون بها حفاظا على العلاقات التي تربطهم ببعضهم.

و الإحسان من صميم أخلاق الإسلام فهو إتقان المعاملة و إتقان الكلام و الإحسان في كل شيء.

4- التعاون:

التعاون ليس مبدا من مبادئ الأخوة في الإسلام و الحب فحسب، بل هو وسيلة لجلب الكثير من الفوائد و الإيجابيات على مستوى الدولة و الأمة و المجتمع و الاسرة التي هي اساس صلاح المجتمعات، و بشكل اساس للوقوف أمام الأخطار و المصائب في كل المجالات الحياتية التي تواجه امة او مجتمع و حتى عائلة، و هو وسيلة من الوسائل الناجحة لرفع الظلم و دفع الضرر و هو وسيلة كذلم لتطوير المجتمعات عامة و الفقيرة خاصة، و هو خصلة حميدة لكونها بالغة الأهمية في بناء المجتمعات و تماسكها و خاصة اذا كان التعاون على ما ينفع الذات و المجتمع و ما يرضي الله سبحانه و تعالى، و هذا ما نلمسه في هذه الرواية حيث كان سكان القرية دائما متعاونين على ما ينفعهم يتجسد ذلك في مواقف كثيرة، منها تعاونهم و إقتسام الأعمال بينهم يوم وفاة العجوز رحمة و ذلك لرفع المشقة و الضرر على من يتكفلها وحده لأن تكاليف الفدوة و الجنازة تتطلب التعاون بالماديات و المعنويات حتى و ان كان بأبسط الأعمال، فلما سمع سكان القرية بوفاة العجوز رحمة التي كانت مريضة « بدا ابن القاضي في إعطاء الأوامر و التعليمات للقهواجي قصد طلب المعاونة من طرف جميع السكان، و خص كل واحد بعمل حسب قدرته المادية و الصحية حتى لا يتسبب لأحد عناء و مشقة فطلب من القهواجي ان يخبر كل من رابح و الطلحاوي بالقيام بإعداد القبر و السعيد بن العربي يتوجه الى القرية المركزية لشراء الكفن و إخبار من هناك من اهل القرية بالوفاة لحضور تشييع الجنازة، و طلب من القهواجي بعد الإنتهاء من إخبار هؤلاء بالأعمال التي كلفوا بها من طرف ابن القاضي إتجاه الفقيدة ان يقوم باخبار الناس عامة بوقت الدفن الذي سيكون بعد صلاة الظهر، و بعد الإنتهاء من اعطاء الأوامر للقهواجي لم ينسى نفسه فقال: اما انا و سي مالك رئيس البلدية فنذهب الى الدار لإعداد التجهيزات الضرورية المتبقية من نفقات و غيرها اللازمة للفدوة و الجنازة لكن مالك رفض من ابن القاضي ان يشاركه في النفقات لانه اراد ان يقوم بها هذه رغبة في نفسه، اما ابن القاضي اراد ان تقام الفدوة في بيته لان الأثاث و الأدوات و الدقيق و السمن، و حتى الغنم التي يريد ذبحها هناك، و بيت العجوز في مكان مرتفع لا يمكن أن نأخد كل هذا الى هناك، لكن مالك رفض ذلك قائلا: الفدوة تقام في بيت العجوز و النفقات أنا من

أقوم بها، و هكذا قام مالك بكل النفقات المادية و قام كل واحد بعمله نساء و رجالا، فالرجال قاموا بالأعمال خارج البيت و النساء قمن بالاعمال المنزلية من تنظيف و ترتيب، و غسل، كما قامت بعضهن باحضار من بيتها السمن، الدقيق، الأثاث الخاصة، و الإستعداد لإستقبال القادمين للتعزية» (1).

فالتعاون الذي قام به سكان القرية جلب منفعة لهم و للفقيدة و هذا سلوك نبيل نابع من الحب و الإخلاص و الوفاء لبعضهم، فمالك رده لها الجميل لما قامت به إتجاهه يوم كان جريحا جراء احداث الثورة و الجيران الاخرين لانهم يحبونها و يحترمونها فهي بمثابة الام لهم جميعا و كانت دائما محسنة لهم كبيرهم و صغيرهم، و التعاون انقص عنهم المشقة و التكلف فكل السكان تقاسموا الاعمال بينهم ، و قدم كل واحد ما يستطيع تقديمه حتى الراعي الذي لا يجد ما يقدمه في الفدوة الا انه ساهم بإحضار الحطب فهذا الموقف دليل على ان التعاون من شيمهم، و لان يد الله دائما مع الجماعة المتعاونة على فعل الخير، فبالتعاون يستطيع الانسان التغلب على مصاعب الحياة و يكسب هبة الاخرين.

قال الشاعر:

تأبى الرماح اذا إجتمعت تكسرا واذا أفترقت تكسرت أحادى.

و من صور التعاون ايضا في الرواية لما تعاون سكان القرية مع ابن القاضي في البحث عن ابنته « اخد المقربون اليهم و الاصدقاء يتواردون عليهم رجالا و نساء،فكان الرجال مع ابن القاضي يتشاورون في الطريق التي يجب اتباعها و كانت النسوة مع الام يهون عليها هذا المصاب و يواسينها و يبكين معها أحيانا، و تقرر بعد تبادل طويل للأراء بين ابن القاضي و رفاقه ان يذهب للقرية المركزية فيخبر بالأمر من له النظر، لانه بالرغم من اتفاق الأراء حول الهروب فان الشك مع ذلك ما يزال قائما»(2).

---

(1)- عبد الحميد بن هدوقة: المصدر السابق، 166- 169

(2) - عبد الحميد بن هدوقة: المصدر السابق، ص258

هكذا تعاون سكان القرية مع العائلة بإبدال الجهد في البحث و مساواة العائلة و التخفيف عن الام خاصة لان نفيسة كانت عزيزة على امها أضافة الى كونها البنت الوحيدة في العائلة.

من خلال هذه المواقف المشهود بها نقول ان سكان القرية قاموا بالتعاون بشقيه المادي و المعنوي بالمال و الكلام الطيب و كلاهما محمود عند الله و مهم في المجتمعات خاصة اذا كانت هده الخصلة في وجوه الخير لانها مجلبة للمنفعة دنيا و آخرة للفرد و الجماعة و الله في عون العباد ما دام العباد في عون بعضهم.

5- الإخلاص:

الإخلاص من القيم الإنسانية الحميدة و الرفيعة، فهو خصلة من أجمل الخصال فبه يستطيع المرء أن يحقق أهدافه في الحياة و أهداف غيره، سواء أكان ذلك بالعمل او القول مع الأقارب او الجيران أو الأباعد أو الأصدقاء، و هذا نابع من الإخلاص للخالق عز وجل، و هو إخفاء على الناس ما يقوم به من الخيرية و الصالحات كما يخفي عيوبه و سيئاته و ذلك بعيدا عن الرياء و التشهير بالأعمال الخيرية فالإخلاص يتطلب السرية في العمل او القول يكون بين الشخص و ذاته خالصة لوجه الله تعالى، و الإخلاص في الرواية نلمسه في « إخلاص العجوز رحمة في عملها حيث كانت تتفانى في عملها بعيدة عن التزوير و الغش، فكانت تحسن الصقل و الزخرفة و التصهير في الفرن بإخلاص دون تدليس، و هذا بارادتها دون ضغط احد عليها بالرغم من انها قادرة على الغش و التزوير، بإظهارها في مظهر جيد مزوق و الباطن غير معلوم، و كما كانت مخلصة في عملها كانت مخلصة في قولها و ذلك لما سألها رابح عن حياة أمه سابقا كيف كانت و غيره من الأسئلة، أجابته بإخلاص بأنها دون إدخال النفاق في حديثها بالرغم من أنها كانت بكماء لا تستطيع مواجهتها إذا قالت عنها أشياء لا ترضيها »(1).

« ومن مظاهر الإخلاص أيضا القهواجي المخلص دائما في عمله من خلال حسن النظافة و طهي القهوة بكل صدق »(2).

و كذلك إخلاص الراعي رابح في مهنته رعي الأغنام حيث كان ياخدهم للأماكن التي يوجد بها العشب بكثرة كان شديد الحرص عليهم و كانهم ملكه(3) فالاخلاص من صفات اهل القرية و هذين النموذجين مراة عاكسة لكل السكان بالاخلاص تنتشر المحبة و الإطمئنان داخل المجتمعات و الأسر و يتحقق الرقي و الإزدهار في كل مجالات الحياة.

---

(1)- عبد الحميد بن هدوقة: المصدر السابق، ص144

(2) - المصدر نفسه، ص58

(3) - المصدر نفسه، ص15

6- بر الوالدين:

ان بر الوالدين من طاعة الله عز وجل و هو من أوجب الواجبات و أعلى المقامات في الإسلام و أعظمها أجرا عند الله سبحانه و تعالى و هو اساس بناء المجتمع الصالح و هو مهم في تماسك الاسرة التي هي نواة المجتمع فقد قرنه الله عز و جل بعبادته و وحدانيته، و بر الوالدين واجب على الابناء كيفما كانت حالة الوالدين المادية و الاجتماعية او الصحية.

فرابح راعي الغنم في الرواية كان بارا بوالدته البكماء، يعاملها بلطف و يتحدث معها بلباقة و يساعدها على اعباء البيت و هذا المشهد مثال على ذلك « كانت الأم البكماء بصدد تقشير الهندي و هو ثمرة معروف في شمال افريقيا يطيب في فصل الصيف، بفناء الدار،و كان رابح جالسا القرفصاء يناولها الثمرات ثمرة فثمرة بعد غسلها بالماء لإزالة الشوك عنها »(1). فهذا التصرف الذي قام به رابح في هذا المشهد دليل كافي على انه حنون مع امه فتفهمها لوضعها، فهو لم ينسى فضل امه عليه.

كذلك نفيسة فسكوتها عن والدها حين قرر تزويجها بمالك و حرمانها الدراسة دليل على برها له، فكانت دائما تقول لأمها: ان تنصحه و تذكره بحقوق الابناء على الاباء، لان القرار الدي اتخده ليس في صالح احد منهم، فهذين المشهدين يدلان على اهل القرية متصفون بهذه الخصلة الحميدة التي تحقق السعادة الكاملة داخل الاسرة.

---

(1)- عبد الحميد بن هدوقة: المصدر السابق، ص259

7 - التواضع:

التواضع خصلة من أكرم الخصال و هي من صفات عباد الرحمان الأبرار و التكبر على العباد دليل على خلو الايمان من القلوب، و نظرا للاهمية البالغة لهذه الخصلة في تماسك المجتمعات فقد أمر الله تعالى بها، فهي سبب من اسباب تقوية أواصر الاخوة و المودة بينهم.

و الرواية التي بين ايدينا نرى انها تحفل بهذه الخصلة الحميدة و ذلك من خلال تواضع افرادها مع بعضهم قولا او افعالا على مختلف مستوياتهم الإجتماعية و الثقافية، فمثلا ابن القاضي ذلك الرجل الثري في مجتمعه الا انه كان متواضعا حتى مع خدمه و هذا ما نلحظه عندما ساعد الراعي رابح باخراج الغنم.

« كان ابن القاضي و ابنه الصغير عبد القادر قرب الدار يساعدان رابحا راعي الغنم على الخروج بها من الممر الضيق الذي يشق بعض البساتين القرية ... و تنهد تنهدا حزينا و هو يرى الغنم أمامه، ذلك ان الإشاعات التي كانت بدات تروج مند صدور القرارات المتعلقة بالتسيير الذاتي حول الإصلاح الزراعي قضت مضجعه و صارت همومه و محل تفكيره الدائم »(1) .

و من نماذج التواضع في هذه الرواية كذلك تواضع نفيسة مع العجوز رحمة عندما إستقبلتها إستقبالا حارا.

في هذا الجو الحالم الإقتحم أدنيها صوت ينادي من بعيد على أخيها عبد القادر، فقامت مسرعة الى النافذة تنظر من المنادي، رأت من بعيد العجوز رحمة صانعة الفخار مقبلة في تعثر، تحمل فوق ظهرها قفة من حلفاء يشدها الى صدرها حبل، فسرت لمقدمها و نادتها من النافذة: تعالي يا خالة « تعالي .

و خرجت من حجرتها مسرعة لملاقاتها عند الباب الخارجي، و بالمراح التقت بأمها فسألتها هذه بإستنكار.

من هذه المنادية مع الصباح ؟

فاجابتها بسرور:

---

(1)- عبد الحميد بن هدوقة: المصدر السابق، ص7

خالتي رحمة ! خالتي رحمة !

كانت العجوز تمشي الهوينا في كل بين، رجلاها تتحركان في بطء و تعثر و كأنهما تنتقلان فوق الشوك، و فعلا كان المسلك الذي تسير فيه لا يخلوا من الشوك و قالت و قد إقتربت من الدار و هي ترى نفيسة تنتظرها بالباب:

لست أدري أرجلاي هما اللتان تحملان جسمي، أم جسمي هو الذي يحمل رجلي !

فاجابتها بابتسام: انك تزعمين الكبر و انت لا تزالين صغيرة، لم تتغيري ابدا فمند عرفتك و انت هكذا ... إحتضنتها نفيسة و راحت تقبلها قبلات مليئة بما تكنه لها من ود و كانت تحبها فهي تجد فيها أكثر من فضيلة، ثم ان حكاياتها و ماترويه من أمثال و طرف، و صفاء روحها و قناعها، كل ذلك يجعل جميع من يعرفها يحبها و يبجلها، و دخلت و حاولت نفيسة ان تحمل عنها القفة فامتنعت قائلة: لا عليك، ليست ثقيلة »(1) .

فقد كانت نفيسة قد إستقبلت العجوز رحمة إستقبالا حارا حيث قبلتها و عانقتها فهي مقال حي لإستاقبال و إكرام الضيوف.

فالتواضع من اسباب تقوية العلاقة بين الأفراد و المجتمعات فالمسلم المتواضع يحرص دائما على خفض الجناح للمؤمنين، و الرحمة بهم و معاملتهم بالرفق.

هناك نموذج آخرللتواضع في الرواية.

فقد كان عابد ابن القاضي مثالا حيا للتواضع رغم مكانته الإجتماعية و حتى مع خدمه.

و لعل أبلغ مميزات عابد ابن القاضي و قدرته على السكوت فسواء كان راضيا ام ساخطا لم يدع سخطه و لا رضاه يمس هدوءه و اتزانه، كل من يعمل عنده يقدر فيه ذلك فاذا تخلف الراعي يوما عن عمله فليس هناك ما يدعوا لان تقوم القيامة و قد يكون ركب رأسه لسبب او لغير سبب فلم يات ... فمهما كان الامر فان لكل معسرة ميسرة و سعة البال اليق بصاحب المال ...»(2) .

نلاحظ في عابد روح التسامح و التواضع فقد كان مقدرا لظروف الراعي و أعطى له الكثير من الأسباب دون ان يسخط و يحقد عليه.

و من صور التواضع في الرواية كذلك زيارة المريض:

---

(1)- عبد الحميد بن هدوقة: المصدر السابق، ص15- 16

(2)- المصدر نفسه، ص111

« لما أعدت خيرة السؤال بدهشة و ذعر.

وجدتها مريضة في الفراش.

أجاب عبد القادر في تاكيد:

مريضة مرضا كبيرا، هي وحدها مسكينة لا تجد حتى من يناولها شربة ماء !

تألمت خيرة مما حكاه إبنها عن العجوز رحمة و قالت:

انقطاعها عنا هذه الأيام لم يكن اذن لمرضها ! مسكينة !

و ستأنفت تسال ابنها:

هل أوصتك بشيء، هل تستطيع الأكل.

قالت انها ترجو ان تبعث الى مالك من يخبره، و لكنها كانت تهدي، فهي تتكلم دقيقة،ثم ما تلبث ان تأخد في الهذيان، فتتحدث عن المقبرة و عن العيون التي تسيل بالقهوة، و عن الاواني التي تشبه النجوم ... و أحيانا تقول: انها انية كبرى فارغة، كل ما فيها من ماء صنعت به الاواني الجديدة، الى غير ذلك من الخلط اذهب حالا الى الدشرة فاخبر اباك،انه بالمقهى، قل له:

ان العجوز رحمة مريضة مرضا شديدا و انها تقول لك: إبعث الى مالك شيخ البلدية ليأتي، و قل لأبيك ياتي ... اجر .

ذهب الطفل ليخبر اباه بما اوصته امه. و قامت هي تعد ما حضر من دقيق و سمن و فلفل و دقيق لتاخدها معها الى المريضة »(1) .

فللتواضع قيمة كبيرة في تحقيق التماسك بين افراد المجتمع فقد كان تعامل ابن القاضي و مالك العجوز تعاملا طيبا عندما تقدموا لزيارتها و إحضار لها ما تحتاج فهو خلق كريم يجب التحلي به نظرا لما له من فوائد مهمة في حياة الافراد و المجتمعات فعند زيارة العجوز رحمة تعامل عابد و عائلته معها بمنتهى العطف و الحنان.

---

(1)- عبد الحميد بن هدوقة: المصدر السابق، ص138

8- النصيحة:

النصيحة تقوي العلاقة بين افراد المجتمع نظرا لما لها من اثر في حياة الأفراد، بدعوتهم الى فعل الخير و ترك الرذائل و ابعادهم عن كل ما يخل بأخلاق الانسان المسلم السوي فالمسلم لا بد له من إتباع الخير و الدعوة اليه من اجل بناء مجتمع يسوده الخلق الفاضل و مكارم الأخلاق.

و هذا ما نلمسه في رواية ريح الجنوب فقد حفلت هذه الرواية بالكثير من النصائح بين أفراد ذلك المجتمع و ذلك عندما نصحت الأم خيرة أبنتها نفيسة بالوضوء و قيام الصلاة:

« لما أحضرت الام القهوة لابنتها وجدتها تبكي فجلست بجانبها و سألتها عن سبب البكاء و قالت لها نفيسة انها تحس ببعض الضيق و الوحشة فقالت لها امها:

قومي ... أغسلي وجهك و أطردي عنك هذه الوساوس يا بنيتي ... لو كنت تصلين يا نفيسة لما شعرت بهذا الضيق.

اشتمت في ذكر الصلاة تأنيب أمها فثارت حفيظتها و لكنها حاولت ان تكظم ذلك » [1].

فالأم هناك نصحت ابنتها بالقيام من الفراش و الوضوء و قيام الصلاة و ان تطرد عليها وساوس الشيطان، فامر كهذا الدعوة و النصح الى طريق الإستقامة كالصلاة لها تأثير في القيام بأركان الإسلام، فالصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر،و هي عماد الدين فالدعوة الى الخير تزيد من إنتشار الخير في المجتمع.

كما نجد نموذج اخر للنصيحة عندما نصحت نفيسة العجوز رحمة من الاقلال عن القهوة:

« قالت العجوز رحمة:

انا أتعجب لمن لا يحب القهوة اني لولاها لما أستطعت القيام و لا القعود.

فنصحتها نفيسة قائلة:

ان الاكثار منها مضر يا خالة: لا تصلح لا للكبير ولا للصغير »[2].

فنفيسة هنا خوفا على صحة العجوز رحمة نصحتها بالاقلاع من القهوة، و النصيحة قد تكون من فرد الى فرد، او من فرد الى جماعة.

---

(1)- عبد الحميد بن هدوقة: المصدر السابق، ص12

(2)- عبد الحميد بن هدوقة: المصدر السابق، ص18

ومن صور النصيحة في الرواية كذلك:

« لما قام رابح فأنزل الحطب الى الارض و حل الحبل الذي يربطه، ثم أخذ الحطب فاخباه في مكان التفت اشجاره، ثم عاد الى نفيسة ليوقفها و يعينها على الركوب، و لكنها سألته قائلة:

اليس من الأفضل ان نقيم في مكان خفي حتى الليل، لانني أخشى ان يرانا أحد ؟

فأجاب رابح:

ان بقاءنا حتى الليل هنا اخاف من الطريق، ألبسي البرنس و غطي نفسك جيدا بحيث لا يرى وجهك و لا رجلاك أحد، و نتوكل على الله، سنسلك طريق لا نخشى فيها أحد، نتشي الان ما دام الحر شديدا و المتسوقون لم يعودوا.

فقالت نفيسة مستحسنة رايه:

ذلك هو الصواب، أعني على الوقوف »(1).

فرابح قدم النصيحة الأخوية لنفيسة حفاظا على سمعتها و سمعة العائلة.

و غير بعيد عن هذا نصح رابح كذلك نفيسة بالعودة الى البيت:

قال رابح:

انك لا تستطيعين فعل أي شيء و أنت في هذه الحالة، ان اللدغ ليس هينا، و سوف تقضين عدة أيام مريضة لا تستطيعين فيها عمل أي شيء، و لذلك أرى ان تعودي الى أهلك أحسن .

فأجابته قائلة بتاكيد:

ان دار أبي لن أعود اليها، اذا استطعت ان تعونني فأرجوك ان توصلني الى الطريق الوطني عساني ان أجد سيارة تحملني الى الجزائر.

فقال ناصحا:

لو رأيتك تستطيعين ركوب السيارة لاوصلتك في الحال و لكنك لا تستطيعين، ان السم صعب و يجب ان تعالجي أياما »(2).

---

(1)- عبد الحميد بن هدوقة: المصدر السابق، ص249

(2) - المصدر نفسه، ص249

قد نصح رابح نفيسة بالمعالجة و العودة الى بيت والدها، فمثل كهذا له أثر كبير في نشر الخير و التعاون، فالنصيحة الى فعل الخير تعتبر من أنواع الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، فالتناصح و التواصي بالحق و الصبر صفات لها أثر كبير في تقوية العلاقة بين الافراد و المجتمعات.

9 - الرفق و اللين:

الرفق و اللين خلقان محمودان من مكارم الاخلاق و لقد لاحظنا من خلال قراءتنا لرواية ريح الجنوب ان سكان تلك القرية يتعاملون فيما بينهم باللطف و لين الجانب و السهولة و تجنب استخدام القوة و الشدة و الخشونة من ذلك الموقف النبيل الذي قام به رابح اتجاه العجوز رحمة جراء الحادث الذي حصل لها عندما سقطت، حيث تعامل معها رابح و كأنها امه حيث أحضرها الى البيت بين دراعيه و قام بأداء واجبه إتجاهها.

« و اذا به يشاهد بعيدا في مكان يشبه الخندق العجوز مرتمية على الأرض فخفق قلبه و بدون ان يفكر إنحدر كالسهم ...

صعق من المشهد المريع، كان رأس العجوز في القفة، و نصف جسمها عريا و الحبل مشدود على ذراعيها ... و لكنه قطع الحبل بموس كان معه لاحظ إرتعاش صدرها قليلا، و خفقان شفتها السفلى ففرح ان لم تفارق الحياة.

و ناداها: عمتي رحمة، عمتي رحمة ...

ووضع العجوز على ظهره و هي في حالة إغماء، و رفع القفة الفارغة، ... دفع الباب الاسود الغليظ برجله فانفرجت أمامه قاعة بيت، زواياها مظلمة ... دخل و وضع العجوز فوق حصير من حلفاء كان مطروحا في مكان مقابل الباب، ثم أخد غطاء خشنا من صوف رآه معلقا في وتد بالحائط فطرح نصفه فوق الحصير، و ثنى نصفه الآخر في شكل وسادة، و وضع العجوز فوقه و نظر الى وجهها فوجده يتصبب عرقا، و عينيها مسبلتين ... ، أخد آنية من طين و خرج الى المراح (فناء الدار) حيث قربة الماء معلقة في مكان ظليل ... وضع دراعه اليسرى تحت كتفي العجوز فرفعها قليلا و ناولها الماء بيمناه، كانت جرعات الماء تنزل من صدر العجوز الى بطنها مصوتة مسموعة ففكر رابح، مسكينة، لم تتناول طعاما، الجوع هو سبب لها الإغماء لا السقوط.

و سألها قائلا:

كيف تحسين نفسك الان.

الحمد لله! رابح ! أنت رابح ؟

نعم.

لن أنسا لك هذا أبدا.

لا تفكري في كل هذا يا عمة، قولي، ألست جائعة؟ »(1).

فقد كان رابح طيبا في حسن التعامل مع العجوز رحمة بإعداد لها الفراش و إعطاء لها الماء، فرابح في تعامله هذا مع العجوز رحمة يتضح لنا انه انساني بطبعه، فالرفق و اللين كما سبق و ان ذكرناها مطلوبان اتجاه جميع الناس سواء من الاعداء او الاحباب.

و من صور الرفق و اللين في الرواية أيضا تعامل و مساعدة رابح لنفيسة بالرغم من إساءتها له في يوم من الايام، و ذلك حين وجدها في الغابة مرتمية و هي تصارع الموت بسبب اللدغ فقد عالجها و أعانها على ركوب الاتان:

إستمرار رابح في سيره و هو يلفت من حين لآخر للرجل المطروح على الأرض، ثم وقف فلم يطق ان يتحمل سر هذا الرجل طوال طريقه و قرر ان يعود اليه ولما وصل الى المكان اندهش لما يرى! ان الرجل المرمي على الأرض إمرأة متنكرة بين الحياة و الموت، فأقترب منها و قلبها على ضهرها ليتمكن من معرفتها و معرفة ما بها فاذا هي نفيسة... قد لذغت ... ، و خصوصا و هو يعرف كيف يعالج الملدوغ ما دام على قيد الحياة، و اخرج بسرعة موساه فشق مكان اللدغ شقا خفيفا فسال منه دم كالقطران سوادا،و وضع فمه على الجرح و اخد يمتص الدم المسموم و يبصق فترة من الوقت، ثم فتح المنديل المشدود به ساق الفتاة و أستأنف إمتصاص الدم، ثم ربط من جديد ساق الفتاة و هي دائما في حالة إغماء، و راح يبحث عن عشب يعرفه يستعمل لهذا الغرض، و هو أنجع من كل دواء، جربه على الغنم حينما كان راعيا مرات عديدة فكان دائما ناجعا، و أتى بالنبات المطلوب فلاكه و وضعه على الجرح ثم قطع من « اللحفة » التي يشد بها رأسه قطعة فربطه بها و أتى بشنة الماء التي كانت معلقة على ظهر الحمارة فنضح وجه الفتاة، و اذا بها تفتح عينيها، فيفرح لذلك، ...و قد أخذها الى بيته و أعد لها هو و أمه كل ما تستلزمه من أكل و دواء و فراش»(2) .

---

(1) - عبد الحميد بن هدوقة: المصدر السابق، ص 219-220

(2) - عبد الحميد بن هدوقة: المصدر السابق، ص244

و هكذا كان رابحا طيبا مع نفيسة حين انقذها من الموت و قد عالجها و أخدها معه الى البيت.

فالرفق و اللين من أسباب الشعور بالراحة النفسية و تاليف القلوب و نشر المحبة، و المودة بين الناس و القضاء على أسباب الخلافات و الإبتعاد عن أسباب العنف و قسوة القلوب.

10 - الشكر:

الشكر خصلة عظيمة من أعظم مكارم الأخلاق، فيجب على الإنسان أن يشكر كل من انعم عليه و احسن اليه ماديا و معنويا، و كان له يدا في قضاء حوائجه، و يتحقق ذلك بمكافأة من أكرمه و احسن اليه بمثله او أكثر، ان كان قادرا، و ان لم يستطع فليكافئه بالذكر الحسن و مدحه و الثناء عليه، و نشر المعروف بين الناس، و من صور الشكر في هذه الرواية، ان شكر ابن القاضي المعلم عندما ساعده بالذهاب الى مالك و معرفة ما اذا كان يريد هذا الاخير الزواج من ابنته قال ابن القاضي للمعلم:« أشكرك و لا انسي لك هذا الجميل »(1).

و من صور الشكر في الرواية كذلك عندما أراد عابد « ان يقيم الفدوة في بيته تجنبا لنقل كل الأدوات و الأثاث الى هنا ليس الا، ثم انها لا تكلفنا شيئا:

الغنم في المراح و الدقيق و السمن بالبيت.

أعرف ذلك و أشكرك، لكني مع ذلك انا الذي اقوم بإحضار كل شيء و لا اضن انك تحرمني من القيام بأقل ما يمكن ان اقوم به نحو امراة هي اخر من تربطني به صلة في هذه القرية » (2).

فقد شكر مالك عابد على إقامة الفدوة في بيته بالرغم من انه أراد ان يقيم الفدوة في بيت المرحومة و القيام بكل النفقات، فللشكر قيمة كبيرة في حياة الأفراد و المجتمعات، فهو يقوي العلاقات بينهم و ينمي فيهم روح الإخاء و الكلام الطيب.

---

(1) عبد الحميد بن هدوقة: المصدر السابق، ص227

(2) المصدر نفسه، ص169

11- الأمر بالمعروف:

الحياة ميدان الصراع بين الحق و الباطل و بين الفضيلة و الرذيلة، و بين الصواب و الخطأ و لذلك فان أي مجتمع من المجتمعات معرض للتحول الى مجتمع جاهل فاسد. و افراد كذلك معرضون للوقوع في الاخطاء، و ممارسة الفواحش و المنكرات، اذ لم يكن هناك عمل شاق من قبل الصالحين في حملات الإغواء و القضاء على المنكر و منع اشاعة الفساد، و ذلك فالامر بالمعروف الذي هو أحد ركائن للدعوة الى الله و رسالة كافة للانبياء و المؤمنين و لم تخلوا الرواية من هذه الخصلة الحميدة فقد كان شخوص هذه الرواية يتبادلون النصائح فيما بينهم و يأمرون بعضهم بفعل الخير و الابتعاد عن الرذائل و من صور ذلك:

قالت العجوز رحمة:

« لم يكن مالك في يوم من الأيام عدوا لكم يا خيرة، انا اعرف من كل أحد، من ذا يستطيع ان يتسبب في قتل اعز الناس لديه، و زليخة كانت أحب مخلوقة الى نفسه، و لم اره ضاحكا منذ ان قتلت زليخة، ان حزنه لحد الآن يملا نفسه و حياته (1).

فالعجوز هنا أمرت خيرة محاولة في ذلك ان تدخل في قلبها نوعا من الصلح و المحبة كذلك اتجاه مالك.

و غير بعيد عن هذا أمرت العجوز رحمة خيرة لتعليم إبنتها العمل مثلما تعمل هي كي تساعدها قالت العجوز رحمة:

« دع نفيسة تعد الطعام، إنك لا تستطيعين ان تعمل كل شيء وحدك.

فتنهدت خيرة وهي تقول:

آه يا خالة ! لقد تعودت الان ان أقوم وحدي بكل شيء.

فاوضحت العجوز قائلة في نصح:

ان نفيسة صارت الان إمرأة (في سن الزواج) ، فان لم تتعلم الطبخ و الشؤون النزلية عندك فاين تتعلم ... ليس هناك أسهل من تعلم أصناف الماكل التي نعدها هنا. أنظري إلى أمك و أعملي مثل ما تعمل »(2).

---

(1) عبد الحميد بن هدوقة: المصدر السابق، ص244

(2) المصدر نفسه، ص244

فمثل هذه المظاهر الخيرية كالأمر بالعمل و الإبتعاد عن الكسل مهمة جدا في بناء المجتمع فالحث على العمل أمر جميل، لان العمل فرض من الله تعالى على العبارة، فلقد خلق الانسان من اجل العمل.

فالمر بالمعروف و النهي عن المنكر باب من أبواب التعاون على البر و التقوى، و هو من الآداب المحمودة، فهو مهم في جميع جوانب الحياة، و هو مبدا من مبادئ الاسلام.

و من نماذج الامر بالمعروف كذلك:

و اذا رأت خيرة العجوز كذلك أخدت آنية فيها ماء و أقتربت منها فوضعت في فمها قطرات و نادتها:

خالتي رحمة ! اشهدي ... ان لا الله الا الله محد رسول الله! »(1).

فالتذكير بالشهادة أمر مهم جدا لان الشهادة اساس الدين و المجتمع الاسلامي.

---

(1) عبد الحميد بن هدوقة: المصدر السابق، ص165

12 - حسن الضيافة:

الكرم و الضيافة عادة منتشرة لدى كافة الأمم قديما و حديثا فهي شيم النبلاء من الناس في كل زمان و مكان، و هي تختلف من شخص الى آخر. و هي باب من أبواب الواجب بإحاطة الضيف بالتكريم و الاحترام.

و ذلك يكون بالكلمة الطيبة و الابتسامة في وجه الضيف، او بتقديم لهم الطعام و الشراب لانها تعزز العلاقة بين الفراد و الجماعات فنحن لا نستطيع تصور مجتمع ممطور فيه العلاقات و تنمو و ينتشر الحب و الايخاء في غياب هذه القيمة.

و قد إستطاع ابن هدوقة كاتب الرواية ان يصور لنا بطريقة رائعة صور و ملامح عن اكرام الضيف في هذه الرواية فهي لا تخلو من هذه القيمة الانسانية العظمى، و هذا ما نجده في كرامة عائلة ابن القاضي و إحاطتها بضيوفها من اب و ام و حتى نفيسة كانت مثلا رائعا في ذلك باستقبالها العجوز رحمة:

و في هذا الجو الحالم إقتحم أدنيها صوت ينادي من بعيد على أخيها عبد القادر، فقامت مسرعة الى النافذة تنظر من المنادي، رات من بعيد العجوز رحمة صانعة الفخار مقبلة في تعثر. تحمل فوق ظهرها قفة من حلفاء يشدها الى صدرها حبل، فسرت لمقدمها و نادتها من النافذة.

تعالي يا خالة. تعالي.

و خرجت من حجرتها مسرعة لملاقاتها عند الباب الخارجي، و بالمراح إلتقت بامها ...

من هذه المنادية مع الصباح ؟

فاجابتها بسرور: خالتي رحمة ! خالتي رحمة !

كانت العجوز تمشي الهوينا في كلل بين رجلاها، تتحركان في بطء. و تعثر و كانهما تنتقلان فوق الشوك، و فعلا كان المسلك الذي تسير فيه لا يخلو من الشوك و قالت و قد إقتربت من الدار و هي ترى نفيسة تنتظرها بالباب:

لست أدري أرجلاي هما اللتان تحملان جسمي، ام جسمي هو الذي يحمل رجلي ! .

فأجابتها: إنك تزعمين الكبر و انت لا تزالين صغيرة، لم تتغيري أبدا فمند عرفتك و انت هكذا ...

إحتضنتها نفيسة و راحت تقبلها قبلات مليئة بما تكنه لها من ود، و كانت تحبها فهي تجد فيها أكثر من فضيلة ... و دخلت و حاولت نفيسة ان تحمل عنها القفة فأمتنعت قائلة: لا عليك اليست ثقيلة»[1].

فقد استقبلت نفيسة العجوز رحمة بالابتسامة الحارة، حيث قبلتها و إحتضنتها بين دراعيها فقد أكرمتها و ادخلتها الى البيت و بعدها اعدوا لها القهوة.

« جلست العجوز رحمة و نفيسة اما خيرة فذهبت تسخن القهوة للعجوز، و أخرجت العجوز من قفتها ثلات اكواب ... و أقبلت خيرة بالقهوة، و اذ راتها العجوز قالت:

لماذا القهوة يا خيرة لقد شربت ؟ ... و ملات فنجانا ناولته للعجوز و ثانيا لنفيسة »[2].

فلقد كانت خيرة و نفيسة مسرورتان بضيوفهما فأستقبلوهم أحر الإستقبال و ذلك بالإبتسامة معهم و الفرح بهم و هذا واجب على كل واحد منا.

من نمادج إكرام الضيف في هذه الرواية:

« فلما زار مالك ابن القاضي استقبلوه بحفاوة، و طلبوامنه الجلوس، و قدموا له القهوة، و كانوا مسرورين بتلك الزيارة، كما دعوه الى زيارتهم مرة اخرى »[3].

هناك نموذج آخر في الرواية لإكرام الضيف:

قامت العجوز رحمة حيث مزود الدقيق فجاءت به الى مكان مضيء من القاعة فادرك رابح انها تريد اعداد الطعام ... و أخدت صحفة من طين فوضعت فيها دقيقا. ثم أعادت جلد الدقيق الى مكانه، و راحت تبحث عن قدر صغير من طين أيضا لا تستعملها الا نادرا، فأخدتها و غسلتها، ثم أوقدت النار و قربت الاثافي من الموقد في وضع مثلث و وضعت القدر عليها، ثم اتجهت الى الصندوق الأسود حيث تخزن كل ما هو ثمين عندها، فاخرجت منه جرة سمن صغيرة و أربع بيضات و رجعت الى مكانها قرب الموقد فجلست و فتحت الجرة و أخدت ملعقة من خشب و وضعت ثلاث ملاعق سمن في القدر، ثم وضعت الدقيق فيها و قليلا من الملح، و كانت نار الموقد معتدلة ما عدا عودا واحدا أخد يتاجج فأزاحته لئلا يحترق الدقيق الذي وضعته في القدر قبل

---

[1] عبد الحميد بن هدوقة: المصدر السابق،ص71

[2] المصدر نفسه، ص16- 17

[3] المصدر نفسه، ص65

نضوجه و أخدت البيضات الأربع فغسلتها، ثم راحت تكسر في القدر البيضة تلوى الاخرى، و بعد ذلك أخدت الملعقة و شرعت تحرك البيض و الدقيق تحريكا متوازيا و قالت بإبتسام الى رابح كأنها تعتذر:

لست ادري كيف ستكون هذه الزميتة ؟ اخشى ان لا تنضج كما ينبغي.

فقال رابح في خجل:

لمذا كلفت نفسك كل هذا من أجلي ؟

فردت قائلة:

لم أكلف نفسي شيئا يا بني.

ثم اخدت حقة الفلفل فوضعت شيئا منه في القدر، و زادت ملعقتين سمنا و استانفت التحريك» (1).

فالعجوز رحمة هنا رغم مرضها إلا انها قامت بواجبها حيث أعدت لرابح ما يلزم من الاكل بعدما ساعدها.

و من نماذج إكرام الضيف في هذه الرواية كذلك:

أعدت أم رابح الدواء و أقتربت من نفيسة و هي تبتسم لها و تؤكد لها أشارة الى ان هذا المرهم سيشفيها بسرعة، فلم تفهم نفيسة الاشارة، بيد ان إبتسام المرأة أعاد الى نفسها الإطمئنان، و جعلها تحن اليها ... و في المساء أعدت أم رابح مرق الفول بالدجاج للمريضة كما جرت عادة سكان هذه القرية ... » (2).

فام رابح رغم مرضها الا انها قدمت لنفيسة الدواء و أعدت لها الطعام و كانت تبتسم معها، كل هذا يدل على كرامة و شهامة أم رابح.

---

(1) عبد الحميد بن هدوقة: المصدر السابق، ص124–125

(2) عبد الحميد بن هدوقة: المصدر السابق، ص252–253

13 - السماحة:

السماحة هي علاقة وطيدة بالعديد من مكارم الأخلاق، فالتخلق بالإيثار و الصبر و الحلم و كظم الغيظ له أثره البالغ في قدرة اللين و السماحة في سلوكه الخاص، و في تعامل مع الغير، كما ان القدرة على العفو و الصفح و الرغبة في الاصلاح و الصلح مع الناس و المسارعة في العطاء و الجود و الكرم، و البذل في ميادين الإحسان.

و نلمس في هذه الرواية روح التسامح و ذلك مع الراعي رابح عندما انقد نفيسة، و مع ابيها كذلك الذي كان مثالا حيا للتسامح « و لعل ابلغ مميزات عابد ابن القاضي سعة باله، و قدرته على السكوت ، فهو سواء اكان راضيا ام ساخطا فلن يدع سخطه و لا رضاه يمس هدوءه و اتزانه، كل من يعمل عنده يقدر فيه ذلك، فاذا تخلف الراعي يوما عن عمله فليس هناك ما يدعو لان يقيم القيامة، قد يكون تعب و قد يكون سهر فلم يفق من نومه، و قد يكون ركب رأسه لسبب او لغير سبب فلم يات ... فمهما كان الأمر فان لكل معسرة ميسرة، و سعة البال اليق بصاحب المال»(1).

و على هذا نقول ان عابد ابن القاضي كان متسامحا فعندما لم يأت رابح، لم يضطرب، بل التمس له الكثير من الأعذار، فقد قال في نفسه ان الراعي قد يكون مريضا او لم يفق من النوم.

فالسماحة قيمة محمودة و سبب من أسباب القضاء على الكثير من حالات الخصومة.

و من نماذج السماحة في هذه الرواية كذلك:

تسامح الراعي رابح مع نفيسة عندما لذغها الثعبان.

و أستمر رابح في سيره و هو يلفت من حين لآخر للرجل المطروح على الأرض. ثم وقف فلم يطق ان يتحمل سر هذا الرجل طول طريقه و قرر ان يعود اليه ... و لما وصل للمكان اندهش لما يرى ان الرجل المرمي على الأرض إمراة متنكرة بين الحياة و الموت،فأقترب منها و قلبها على ظهرها ليتمكن من معرفتها و معرفة ما بها فاذا هي نفيسة ... الفتاة التي قالت له ذات يوم أيها الراعي القذر ! ... انها لدغت، و ساقها أسود، و أسود جسمها و وجهها، هل يتركها في هذه الحالة لينتقم منها لنفسه ؟ و لكن الانتقام بهذه الصورة لم يرقه. و خصوصا انه يعرف كيف يعالج الملذوغ

---

(1) عبد الحميد بن هدوقة: المصدر السابق، ص111

ما دام على قيد الحياة. فشق مكان اللدغ شقا خفيفا، فسال منه دم كالقطران سوادا و وضع فمه على الجرح ... » (1).

فسماحة رابح جعلته يساعد نفيسة في انقاضها من الموت، فقد أراد الانتقام منها و لكن ضميره لم يسمح له ان ينتقم بهذه الطريقة، فانقضها و ساعدها في ركوب الآتان و أخدها الى منزله.

فالسماحة قيمة محمودة و سبب من أسباب القضاء على الكثير من حالات الخصومة، كما أنها تساعد على ضم الافراد الى بعضهم البعض، فلو غاب كل هذا لعمت الفوضى و الفواحش بين الأفراد و أنتشرت العداوة و البغضاء و الحقد.

---

(1) عبد الحميد بن هدوقة: المرجع السابق, ص147

14 - زيارة المريض:

عيادة المريض او زيارته حق من حقوق المسلم على المسلم، و شرط من شروط المحافظة على الأخوة بين المسلمين، و هي أيضا مشاركة وجدانية من المسلم نحو أخيه المسلم يعبر بها عن مودته و مواساته و تخفيف ألامه و الاطمئنان على صحة و مشاركته في شدته و الدعاء له بالأدعية المأثورة، كيف لا و هي مؤانسة المريض و التخفيف عنه، و ذلك بالكلام الطيب و تفكيره بالتوكل على الله، لأنه هو الشافي، كما يبعث فيه الأمل بالشفاء.

و رواية ريح الجنوب لم تخلو من هذه القيمة الحميدة:

فلما أخبر عبد القادر الأم خيرة بان العجوز طلبت منه أن يضر مالك، قالت له أمه:

اذهب إلى الدشرة فاخبر أباك، انه بالمقهى قل له أن العجوز رحمة مريضة مرضا شديد.

و أنها تقول لك ابعث إلى مالك ليأتي و قل لأبيك يأتي ... اجر » (1).

فالملاحظ هنا ان خيرة لما سمعت بمرض العجوز سارعت إلى إعداد ما يلزم و الذهاب إلى زياتها من اجل مساعدتها و تقديم لها يد العون و التخفيف عنها.

فزيارة المريض تعتبر من صور التكافل الإجتماعي لتقوية العلاقات بين الأفراد و قد أوصانا بها الرسول صلى الله عليه و سلم.

---

(1) عبد الحميد بن هدوقة: المصدر السابق، ص138

15 - الأمانة:

الأمانة خلق عظيم، و صفة حميدة، تقتضي قيام الانسان بكل ما ائتمن عليه من أمور الدين و الدنيا، و لذلك حسن التعامل مع الناس و التخلق و السلوك القويم، فالعقيدة و العبادة و الاخلاق و المحافضة على الوقت و الوظيفة و رد الودائع.

و نلمس في رواية ريح الجنوب هذا الخلق العظيم فقد كان رابح أمينا عند أخد الرسالة إلى البريد:

« إقترب رابح من النافذة في حذر، فقالت له نفيسة:

رابح هل تستطيع أن تذهب الى البريد.

لكن البريد في القرية المركزية.

تردد لحظات ثم قال:

أن شئت أذهب هذا المساء. أطلب من أحد الرعاة ان يرعى الغنم غدا مكاني و أذهب.

عندي رسالة أريد ارسالها،و أود ان لا يعلم أحد بذلك.

و كيف تريد ان يعلم.

أنا لا أقول لأحد، كوني هنية، ساضعها بيدي ... و لن يعلم أحد » (1).

لقد طمأن رابح نفيسة بانه سيوصل رسالتها إلى البريد، و قد فعل ذلك حقا.

و بهذا فالأمانة خلق أساسي في دين الإسلام و قد أمرنا الله عز وجل به، فالأمانة تحافظ على الشرف و العرض و الإخلاص في أداء الوظائف، و هي ضرورة لحفظ حقوق الناس.

---

(1) عبد الحميد بن هدوقة: المصدر السابق، ص94

16 - العفة:

العفة من أكرم الأخلاق و أجمل الفضائل، و افضل الخصال و قد دعا الله تعالى عباده و أوصى بها النبي صلى الله عليه و سلم، و تعد سلاح إسلامي فريد يتحقق به حفظ المجتمع من الفساد و صيانة اعراض أفراد المجتمع.

و رواية ريح الجنوب لم تخلو من هذه القيمة الفاضلة، و هذا ما نلمسه في عفة نفيسة:

كانت نفيسة نائمة نوما عميقا، لم يوقضها فتح الباب و لا غلقه و لا فتح النافذة، و الواقع ان رابح كان في حركاته حذرا الى اقصى حد، لم تكن الغرفة مضيئة و لا مظلمة و لكنها كانت في الظلام إقرب منها الى النور، رأى رابح السرير الذي تنام فوقه نفيسة فأقترب منه فإذا هي عارية ، فاحس كان شيئا عنيفا هز كل كيانه، و أحس ان خلايا جهازه العصبي بدأت تشتغل، لأول مرة في حياته يدي الفتاة عارية !« كم هي جميلة ! جميلة كالشهد !» بدا له أن يرتمي بجسمه عليها و لكنه في آخر لحظة عدل في ذلك و فكر أن يوقضها من نومها: فأقترب من السرير حتى كاد يلتصق به و وضع يده على فمها فاذا هي تقفز مذعورة !

فقال لها بلطف

لا تخافي أنا رابح ! لا تخافي ...

جدبت باقصى ما استطاعت من سرعة غطاءها بيد و دفعته عنها بأخرى، و كانت من شدة البغتة أحست كان صاعقة نزلت عليها.

و قالت في إختناق:

أخرج يا مجرم!

فرد مدهولا:

أنا رابح. الراعي ... لا تخافي ...

أخرج و إلا صرخت.

لكن

تلعثم لسانه، لم يجد إلى الحركة سبيلا، فكررت قائلة بسخط و مرارة أخرج يا مجرم من هنا...»[1].

فعفة نفيسة و كرامتها جعلها تدافع عن نفسها و شرفها،فالعفة وسيلة في حفظ الفروج، و هي وسيلة لمنع الوصول إلى الرذيلة، و هي تولد في القلب نورا و فرحة و إنشراحا، و هي تعصم من الوقوع الزيغ و الظلال و هي تجنب كل ما لا يتناسب الإتصاف به مع مقام المؤمن و مكانته.

---

[1] عبد الحميد بن هدوقة: المصدر السابق، ص107-108

خاتمة:

من خلال دراستنا لموضوع القيم الإنسانية في الرواية استنتجنا أن الإلمام بهذا الموضوع من خلال رواية روائي أو روايات روائي واحد صعب جدا، لان هذا الموضوع واسع جدا و لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال التجول بين أحضان مختلف الروايات و الأجناس الأدبية الأخرى، فرواية واحدة لا تلم بها كلها، مثال رواية ريح الجنوب التي نحن بصدد دراستها لم تكن تشتمل على كل القيم الإنسانية كلها، سواء كانت ظاهرة او مضمرة و لهذا لجانا إلى نماذج من خارجها.

كما لاحظنا أن الرواية الجزائرية مرتبطة دائما بالقضايا التي تمس المجتمع، و يكون الروائي فيها ناطقا بلسانه فمثال القيم الإنسانية واجبة التحلي بها لأنها مهمة في المجتمعات.

رواية ريح الجنوب هي الرواية الأولى التي عرفت نضجا فنيا و موضوعيا بالنسبة للروايات الجزائرية التي سبقتها.

كل الروايات الجزائرية لها صلة بالجانب الديني حتى و إن كانت بصورة خفيفة.

الرواية كغيرها من الأجناس الأدبية الأخرى ،استعملت من طرف الروائيين سلاحا معنويا ضد العدو، حيث أن الأدب حقق ما لم يحققه السلاح المادي.

كما لاحظنا أن هذا الموضوع لم يدرس من قبل، و لهذا وجدنا صعوبة في الغوص بين احضانه.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع:

أ ـ المصادر:

- عبد الحميد بن هدوقة: ريح الجنوب، ط3 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر 1976م·

ب- المراحع:

- المراجع بالعربية:

1- بالزون ويكليلي: المادية التاريخية. دط. دار الجماهير, دمشق.

2- رشيد بويجرة: الشخصية في الرواية الجزائرية، الجزائر (1975–1981) رقم النشر2054–09–4 ، الجزائر، ص86·

3- ريدكرهورست: الانعكاس و الفعل (يالكيتيك الواقعية في الابداع الفني) دار الجناب و دار الالفرابي , 1988

4- سوتشكوف بوريس: المصادر التاريخية للواقعية, دط, بيروت 1974م

5- عبد الحميد بن هدوقة: الملتقى الوطني الاول· مطبعة دحلب· 25 – 26 برج بوعرريج 1997·

6- عبد الله ركيبي: تطور النثر الجزائري، د ط، تونس 1978

7- عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث (تاريخا، أنواعا، قضايا و أعلاما) ، دط، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون 1995·

8- عمر بن قينة: دراسات في القصة الجزائرية القصيرة و الطويلة، دط، الجزائري 1986·

9- لوكاتش جورج: معنى الواقعية, دار المعارف, القاهرة 1981 .

10- كوليسوف: القطاع العام في الاقتصاد الجزائري, دط, دمشق.

ـ الرسائل و الأطروحات:

واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر· رسالة لنيل شهادة الماجستر تحت إشراف عبد الكريم الاشتر· كلية الآداب دمشق·1981–1982

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

– مقدمة-- 07

– تمهيد-- 12

– الفصل الأول·

المبحث الأول:عوامل و ظروف نشأة الرواية·

أ– السياسية---30·

ب– الاجتماعية---32·

المبحث الثاني: البنيات السرديةفي الرواية·

أ– الشخصيات·

1– الشخصيات الرئيسية:

– شخصية ابن القاضي-------------------------------------33

– شخصية مالك---33

– شخسية نفيسة--34

2– الشخصيات الثانوية

– خيرة ام نفيسة---35

– العجوز رحمة--35·

– الراعي رابح--35

ب– الزمان--36·

ج– المكان ---36·

الفصل الثاني:

– القيم الإنسانية في الرواية. ·

1– المحبة و الحنان---42·
2– الوفاء --47·
3– الإحسان---57·
4– التعاون---64
5– الإخلاص--67·
6– بر الوالدين--68·
7– التواضع--69·
8– النصيحة--72·
9– الرفق و اللين---75·
10– الشكر--78·
11– الأمر بالمعروف--79·
12– حسن الضيافة---81·
13– المسامحة---84·
14– زيارة المريض--86·
15-الامانة ---87
16-العفة ---88
خاتمة--90 ·
قائمة المصادر و المراجع--92·
فهرس الموضوعات·